شبة الجزيرة العربية

بين

اسباب الصعود و اسباب النزول

الكتاب : شبة الجزيرة العربية
بين اسباب الصعود و اسباب النزول
الكاتب : إبراهيم الزيني ـ حسن إسماعيل
جميع الحقوق محفوظة
رقم الايداع : ٢٠٠٥/٩٩٩٤
الناشر : الشعاع للنشر
التوزيع : ١٥٦ شارع الملك فيصل
٠١٢٢٧٢٠٥١٣ ـــ ٧٤٠٠٢٢٨

الإهداء

إلي رواد مصر الأم

من قالوا لا في وجه من قالوا نعم

أملي ننقل

كلمات سبارتكوس الأخيرة

المحتويات

مقدمة ٧

مشكلة التراث ٩

الباب الاول

الفصل الأول ١٣

المقصود بالعصر الجاهلي

الخلفية الاجتماعية لعرب الجزيرة . طبقات العرب . طبقات المجتمع القبلي المخزون النفسي . صفات شيخ القبيلة . صفات العربي . الاسرة في المجتمع الجاهلي . انواع الزواج والطلاق قبل الاسلام . الطبقات الاجتماعية و العنصرية

الفصل الثانى ٢٩

الخلفية السياسية للجزيرة العربية

الظروف السياسية لمكة

الفصل الثالث ٣٥

الخافية الاقتصادية و التجارية

بعض الحرف الأخرى . المستوي الفكري لسكان الجزيرة . يثرب قبل الهجرة . التشكيل الاقتصادي و الاجتماعي ليثرب . أسباب العداء بين يثرب ومكة . المستوي الفكري للبثاربة

الفصل الرابع

شخصيات أثروا في شبة الجزيرة العربية ٤٩

الباب الثاني

الفصل الاول ٦٥

الخلفية الدينية

الفصل الثاني ٩٧

الكعبات في الجزيرة العربية و العالم القديم

الباب الثالث

الفصل الاول

١٠٧

الجذور التاريخية لبعض الشعائر الاسلامية

الباب الرابع ١٤٣

العلوم التي برع بها العرب ١٥٥

الخاتمة ١٥٦

المراجع و المصادر

التعريف بالمؤلفين

إبراهيم الزيني

- ليسانس دار العلوم
- ماجستير لغة عربية

- الكتب

١- الثقافة القوميةفي اللغة العربية المعاصرة

٢ - سلسلة كتب ١٢ كتاب في تعليم اللغة العربية لغيرالناطقين بها

٣ - الاسلام منهج و طريقة تدريس

٤ - الصحة النفسية لشعراء الحب العفيف (دراسة)

٥ - حب اسكندراني مجموعة قصصية

٦ - الشطار مسرحية

٧ - الزلزال مسرحية فيديو

٨ - عفوا أيتها الزوجات

٩ - اغتصاب مصر من العقل إلي العقال

حسن إسماعيل

- أمين عام الاتحاد المصري لحقوق الانسان
- أمين عام الجمعية الوطنية لتدعيم الثقافة
- أمين لجنة العلاقات العامة لمركز الكلمة لحقوق الانسان
- المشرف العام لجريدة Human Rights
- المشرف العام لجريدة الكلمة الدولية
- المشرف العام لجريدة الإنسان الدولية

مقدمة

ها مشرط الجراح يبداء في شق نقاب الجرح ..في فتح فوهة بركان مفعم

كان **علي عبد الرازق** و هو يتكلم عن الخلافة الإسلامية يقول : و إن

الإسلام دين و ليس دولة

وها حروف النور تخط سطور **الشعر الجاهلي لطه حسين** الكاتب المُبصر

و ها **فرج فوده** يتمنطق بحزام ملغم بالتنوير ويستشهد علي مذبح الوطن

الحر !

و سيد القمني. صانع الألغام . التي لا تبتر الاعضاء ..بل تزيدك وعيا و حرية

و جرأة نحسده عليها في زمن الخوف هو الحل . من **رب الثورة**

أوزيريس .. إلي شكراً بن لادن

و سناء المصري تأخذنا **خلف الحجاب** تضعنا أمام المرآة التي لا تكذب ولا

تتجمل . و تحت حوافر **هوامش الدخول** .. لننزف حبرا و دماء

و يأخذنا **خليل عبد الكريم** الي دهاليز المسكوت عنه من **مجتمع**

يثرب .. إلي النص المؤسس و مجتمعه

و ها إبراهيم الزيني و حسن إسماعيل يقدما استمارة

عضويتهما في كتيبة مصر الحرة مصر التنوير بكتاب إبراهيم

الأول العقل و العقال و كتاب حسن مسودة وطن الذي لمسا فيه هدب ثوب الحقيقة و ثقبا في جدار الظلام ثقباً يمر منه النور للأجيال ▪ (أمل دنقل) .

و كتابهما الثاني معاً الجزيرة العربية بين أسباب الصعود و أسباب النزول الذي اشتركا في التقاط و تجميع أجزاء صورته لتكتمل و تصير كتاباً يُقذف به في بركة المألوف و العادي .... المشمع بالشمع الأحمر لعلنا نصير أكثر وعياً ... و أكثر استنارة ... و أكثر حرية .

مشكلة التراث

التراث مشكلة حقيقية ... التفكير الموضوعي يؤكد هذا القول عند تعامله مع مشكلة التراث هو: لماذا يشكل هذا التراث مشكلة؟

إن النقاش على أشده هذا الأيام حول التراث من حيث ماهيته وقيمته من ناحية وحول هويته من ناحية أخرى، أما من حيث الماهية والقيمة فقد اختلف فيها المفكرون أما عن هويته فقد تم اختزال كل الهويات القومية للشعوب الإسلامية فى هوية شعب الجزيرة العربية دون غيرهم فأصبحت الهوية الغالبة هى الهوية الإسلامية العربية، لأن العرب هم المنتصرون على أعاجم المسلمين وحققوا مشروعهم الحضارى على أكتافهم.

هذا عن الهوية أما عن الماهية والقيمة للتراث، فقد باتت هناك نظريتان كل منهما على نقيض.

١ - النظرية الأولى هى: النظرية التعظيمية: وخلاصتها أن كل شىء موجود فى التراث العربى الإسلامى فإن كان الدين (آلاف الكتب) نحن نجد فيه كل قواعد التعامل الصحيح مع العالم للتمكن منه والتحكم فى خبراته (مئات الكتب) أما سبب نجاح السلف الصالح فهو تمسكه بالوصفة الكاملة (آلاف البحوث) وسبب فشل الخلف الطالح هو ابتعاده عن الوصفة الكاملة (آلاف الكتب والمقالات) إذن من الضرورة العودة إلى التمسك بما فعله السلف الصالح فنعود بذلك إلى الوصفة

الكاملة (آلاف الخطب والكتب والبرامج) ثم تنتهى قصة هذه النظرية بأن ينال الإنسان المال والبنون في الارض و في ختامها الجنة حيث السعادة الأبدية.

فإذا سألت أصحاب هذه النظرية عن سر تفوق الغرب علينا رغم أنهم لم يستخدموا وصفتنا السحرية ؟ يجيبونك بأن الغرب قد أخذ منا كل شيء وبنوا عليه حضارتهم (آلاف المقالات) وأنهم يقلدون السلف الصالح فى السلوك عدا الجنس طبعاً والمرأة بطبيعة الحال.

٢- النظرية الثانية هى النظرية النقدية.

وتقول هذه النظرية أن التراث هو أكبر عائق للتطور الطبيعى للأمة الإسلامية، فهو على شكله الدينى تكريس يقوى ميتافيزيقية غيبية تهدد الإنسان وتكيل له التهم وتمنع حركته فى الحياة من حيث العمل الحر الخلاق وما يتبعه من إبداع وابتكار وتتعامل معه بأسلوب أن خضعت فأنت معنا وأن لم تخضع فأنت فى جهنم.

أما من حيث الشكل الاقتصادي الأدبى فهو تعبير عن قيم ومفاهيم إقطاعية بمجتمع عبودى بدوي ظالم.

أما عن التراث من حيث الشكل العلمى فهو تاريخ أو هنات علمية لم يأخذ أبعاده الحقيقية فالتراث تحدث عن علوم لكنه لم يخترع ولم يصنع والتحضر هو الذى يصنع حضارته أما الذى يستهلكها فيعيش قشرة حضارية فقط. ومن ثم فاتباع هذه النظرية يطالبون برمى التراث فى سلة المهملات واستبداله بقيم حضارية عصرية

كالليبرالية مثلا وإدارة الظهر لأدب الباكين على الأطلال والالتحاق بركب الأمم التى تصنع العلم والتكنولوجيا الحديثة.

وأنا لست مع أتباع هذه النظرية أو تلك لأن أصحاب النظرية الأولى يعظمو له التراث ويتركوا سلبياته وهى كثيرة بحيث ترفضها كل الشعوب العجمية لأنها لا تتفق مع قيمها المغايرة لقيم البدو كما أنها تتناسي أن الوصفة الدينية لم تحقق فى أى عصر العدل والسلام والرفاهية للشعوب المسلمة باستثناء ما حققته للعرب المنتصرون فى شبه الجزيرة العربية من الخارج والجزية بل أنها تخصصت عن أنظمة قمعية حكمت باسم الدين ونقضت أبسط تعاليمه.

أما من حيث الشكل الأدبى فهى تعشق الشكل الأدبى فقط متغافلة عن حقيقة بديهية وهى أن العرب هم أغزر الشعوب شعرا وأقلهم شاعرية. فربع شعرهم مدح والربع الثانى هجاء وثالثة غرور بغلظة أما الربع الأخير فخاص بالجوارى والغلمان.. ونحن إذا غربلنا كل الأشكال الأدبية على مدى ألف سنة لن نجد فيه ما يساوى قصة من قصص الأدبى الفرعونى القديم أو قصة لتشيكوف أو مسرحية شكسبير مثلا.

لذلك فإننى أحب توضيح هذه النقاط الهامة التى تحدد رأينا فى هذه المسألة مشكلة التراث.

إن تعظيم التراث مرفوض إن كان هدفه التغطية على فشل شعوبنا وتخلفها وانحطاطها.

إن إظهار الحقيقة المجردة هو الهدف الأسمى الذى نسعى إليه والحقيقة أم المعرفة وهى مفيدة إذا قيلت بحلوه ومرها، سلبياتها وإيجابياتها فهذا بداية العلاج.

إن تغلب نزعة المحافظة على التراث على نزعة الخلق والابتكار جعلت تجربة الجيل الأول صالحة لكل زمان ومكان مما أدى إلى تجميد حركة الفكر فى كل الميادين خاصة العلمية منها.

إن التخلص من التراث عملية فاشلة لأنه ذاكرة الأمة بغض النظر عن كونه تجربة ناجحة لجيل وتجربة فاشلة لأجيال كثيرة.

إن التحدث الحقيقى الذى ينبغى أن نتصدى له هو أن يفيد قراءة هذا التراث بعين ناقد واعية لكل سلبياته وإيجابياته فقد تفيدنا السلبيات أكثر مما قد تفيدنا الإيجابيات فى فهم المستقبل وسوف يساعد فى تقييم تجربة من سبقونا وإثراء تجربة من سيأتى بعدنا حتى نصبح خلاقين. أم أننا سنكتفى بالتغنى بالماضى رغم أكاذيبه وبالتطفل على موائد صانعى الحضارات !!!؟.

الباب الأول

الفصل الأول

المقصود بالعصر الجاهلي

إن كنت بلا ذرة عقل
فلماذا أسأل عن هذا ؟
و إذا كان برأسي عقل
فلماذا (إن كان .. لماذا) ؟
احمد مطر (ديوان المسائل)

المقصود بالعصر الجاهلي

في البداية نريد أن نوضح معنى مصطلح " العصر الجاهلي " ، لأن الكثير من الناس يعتقدون أن المقصود بذلك هو الجهل و عدم المعرفة بالكتابة و القراءة . والحقيقة التي نريد قولها بأن هذا الإدعاء لا صحة له ولا يوجد ما يؤيده أو يثبته بالدليل والبرهان و الدليل على ذلك أن العرب كانوا من أمهر الشعراء و أمهرهم كتابةً للشعر و خاصة المدح والذم. فكان الملوك يستقطبون الشعراء للكتابة عن كرمهم و جودهم و ذم الملوك الآخرين و من أشهر هؤلاء الشعراء آمرو القيس و الفرزدق و ذو الإصبع العدواني .... و غيرهم .

و كان لكل قبيلة شاعر يتفاخرون به ،و خاصة في التجمعات و الأسواق الكبرى التي كان يتم فيها التباري بين الشعراء واختيار أفضل شعر فيعلقونه على الكعبة بمكة كمعلقة من ضمن أشهر المعلقات . و معنى ذلك أن العرب كانوا يجيدون اللغة كتابةً و قراءةً .

بل و نتيجة كثرة ترحالهم لبلاد الروم و الفرس و الشام و مصر و اليمن للتجارة ، برع البعض منهم في اللغة و أجاد بعض اللغات كما سنرى فيما بعد .

و لكن المقصود بمعنى العصر الجاهلي كما يقول الألوسي : أي ذلك الزمان الذي كثر فيه الجهل بالله ، وهو ما قبل الإسلام ، و قد يطلق على زمن الكفر مطلقاً بالعصر الجاهلي و كذلك كل من خالف ما جاء به المرسلون من يهودية و نصرانية فهذه هي الجاهلية العامة ، أما الجاهلية المطلقة فهي أن يبقى الرجل على ما هو عليه و لم يسلم وهناك جاهلية أولى : و هي تلك التي أشار إليها القرآن في قوله { و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى } (الأحزاب ٣٣) . إذن فالجاهلية هنا هي التي كانت في زمن إبراهيم عليه السلام .{ و إذا جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية}(الفتح ٢٦) . (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ١ ص ١٤ و ١٥ و ١٦) دار الكتب العلمية . بيروت عني بشرحه و تصحيحه محمد بهجة الأثري) .

و لفظ الجاهلية ليس مشتق من الجهل أو الجهالة التي هي نقيض العلم و المعرفة ، و لكنه لفظ مشتق من الجهل الأخلاقي أي السفه و الغضب و الحمية و العصبية ....الخ . و كلها صفات تناقض الحلم كما قال القرآن في سورة الفتح ٢٦{ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية } ونجد الجهل هنا هو الصفات الذميمة التي كانت تغلب على طبائع العرب .(تاريخ العرب في عصر الجاهلية . د / سيد عبد العزيز سالم . ص ١٢ دار النهضة العربية بيروت) .

الخلفية الاجتماعية لعرب الجزيرة

معنى كلمة العرب

ماذا يقصد بلفظ العرب ؟ و من أطلق ذلك اللفظ على قاطني الجزيرة العربية ؟

و للإجابة نقول : ظهرت لفظة [عربايـة] للمرة الأولى سنة [٥٣٠ ق.م] في النصوص الفارسية المكتوبة بالأكامينية بمعنى البادية الفاصلة بين العراق و الشام بما فيها شبه جزيرة سيناء ، ثم وردت الكلمة بالعبرية

[عرابة] بمعنى الجفاف و حافة الصحراء و الأرض المحروقة ، و كانت تسمى وادي العربة الممتدة من البحر الميت إلى خليج العقبة . أما في التوراة فذكرت بمعنى البدو ، في حين يسمى سكان الحضر بأسماء قبائلهم أو بأسماء المواضع التي يعيشون فيها .أما تعميم كلمة العرب على سكان شبه الجزيرة العربية فقد جاء متأخرا على أثر احتكاك العبرانيين بالقبائل التي كانت تقيم في البادية .

أما هيرودوت فقد ذكر تلك الكلمة في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، و قصد سكان شبه الجزيرة العربية كلها بما فيها شبه جزيرة سيناء .

و عرف العرب عند الكتاب الأوربيين و اليونانيين باسم [Saracens و فسروها بمعنى مشتق من [شرق] أي الواقع في إقليم الشرق ، أو بمعنى [سرق] أي اللصوص ، و يراد بهم بدو الصحراء .

و يشك (مولر) في صحة ورود كلمة [عرب] علماً لقومية العرب في الشعر الجاهلي و في الأخبار المدونة . و يكمل حديثه قائلاً :الواقع أن الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا يخلو من وجود صيغة [عرب] للتعبير عن هذا المعنى القومي للجنس العربي !. و ذلك بسبب استغراق عرب الجاهلية في المنازعات الداخلية و الحروب .

و يعتبر القرآن هو أقدم مصدر عربي وردت فيه صيغتا أعراب و عرب ، فقد ذكرت لفظة أعراب عشر مرات منها ما جاء في سورة البقرة " الأعراب أشد كفراً ونفاقا " وقوله أيضاً " وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا بل قولوا أسلمنا " ، كما وردت لفظة عربي أحد عشر مرة ، منها عشرة مرات صفة للغة التي نزل بها القرآن بأنها لغة عربية واضحة بينة . الزخرف ٤٣{ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } . (تاريخ العرب في العصر الجاهلي . د / السيد عبد العزيز سالم . ص ٦١،٦٢،٦٥ . قصة الحضارة عصر الإيمان . ول ديورانت ص ١٠) .

طبقات العرب

لقد مر العرب بمراحل من التطور و التشكيل الاجتماعي و البيئي بعد الانقراض في بعض الأزمنة المندثرة ، ثم عادوا للنمو و التكاثر و الظهور مرة ثانية في العصور التالية . و قد مر ذلك التطور بثلاث مراحل مختلفة كما يقول المسعودى ، و هذه التطورات هي :

١] العرب البائدة : و هم الشعوب العربية القديمة الذين كانوا يسكنون الجزيرة العربية و بادوا أمثال [عاد و ثمود و جرهم] .[تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص٧٠ . فجر الإسلام . احمد أمين . ص ١٥]

٢] العرب العاربة : هم الراسخون في العروبة و مبتدعوها و هم أول أجيالها و انقرضوا ، و منهم القحطانيين .[المسعودى . مروج الذهب . ج٢ ص ٥٦ . فجر الإسلام . احمد أمين . ص ١٥] .

٣] العرب المستعربة أو الباقية : قد سموا بالعرب المستعربة لأن إسماعيل عندما نزل مكة كان يتكلم العبرية فلما صاهر اليمنية تعلم العربية ؟ . (تاريخ العرب في عصر الجاهلية صـ٦٧ د / سيد عبد العزيز سالم دار النهضة العربية بيروت)

طبقات المجتمع القبلي :

كان المجتمع العربي يحظى بجو من الاستقرار و الهدوء داخل القبيلة الواحدة ، عندما كان لذلك المجتمع قانون وعرف يحكم علاقاته ، و قد كان المجتمع

العربي ينقسم إلى عدة قبائل ، والقبيلة هي الوحدة التي يبنى عليها كل نظام المجتمع ، و كانت تلك القبائل في نزاع دائم و حروب مستمرة مع جيرانها فأدى ذلك إلى التحالف مع قبيلة ضد أخرى و الإغارة على قبيلة مع أخرى و ساعد ذلك على تقسيم هذا المجتمع القبلي إلى ثلاثة طبقات أو مستويات و هم :

١] النبلاء : وهم أبناء القبيلة ، و الدعامة القوية لها ، الذين يهبون لتلبية دُعائِها في الحرب سواء كانت ظالمة أم مظلومة ، ويساعدونها في الضيق و في معونة المحتاج . و هم أيضاً المسؤولون عن حماية القبيلة ، و هم الطبقة الأولى أو العليا في المجتمع القبلي .

٢] الموالي : و هؤلاء يعتبرون الطبقة الثانية . و هم قد قُطعِوا من قبيلتهم نتيجة اقترافهم فعل مشين ، يسيء لسمعة القبيلة و يجلب عليها العار ، فتقوم القبيلة بنبذه و إخراجه منها ، و يعتبر بذلك مخلوع من القبيلة ، و نتيجة ذلك فأنه يلجأ لقبيلة أخرى ويطلب منها أن تجيره فيعتبر مولى من مواليها . و كان الخلع يتم في الأسواق العامة و المحافل .. .

٣] الرقيق : كانت تؤلف طبقة كبيرة من المجتمع القبلي في الجاهلية ، وكان أغلبهم من الأحباش و أبناء الإماء البيض و الأسرى في الحروب . و يعتبر الرقيق بذلك هم الطبقة الثالثة أو الدنيا .

وكانت العرب تعيش في جماعات يطلق عليها أسم قبيلة ، و كان يحكم تلك القبيلة شيخ يختاره رؤساء العشائر ، على أن يكون من بيت اشتهر من زمن بعيد بثرائه و

سداد رأيه و شدة بأسه في القتال . و كانت له صفات و امتيازات يمتاز بها عن باقي أفراد القبيلة . و عندما جاء الإسلام أخذ النبي صلى الله عليه وسلم تلك الامتيازات الخاصة لشيخ القبيلة و وافق عليها و أقرها . و كما كان لشيخ القبيلة بعض الامتيازات كذلك أيضاً كانت عليه التزامات نحو القبيلة

المخزون النفسى

نحن فى حاجة ماسة إلى قراءة جديدة لتاريخنا البعيد، دراسة علمية يكون هدفها تحليل الواقع ورصد حركته داخل المنظومة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية السائدة فى ذلك الوقت... لأن هذا الرصد الذى يبحث عن الحقيقة سوف يفسر لنا السبب وراء دخولنا متأخرين إلى الميدان الحضارى العالمى، وسوف يفسر أيضاً الأسباب الرئيسية وراء انحطاط قيمنا المعاصرة وازدواج المعايير عند الشعوب العربية حاليا والعجم سابقاً.

فقد يتبادر إلى الذهن أننا متخلفون لأننا فقراء، لكن الحقيقة تقول أننا فقراء لأننا متخلفون، وأننا متخلفون لأننا فقدنا هويتنا، وأننا فقدنا هويتنا لأننا استبدلناها بهوية بدوية سيطرت على العالم الإسلامى بحجة أنها هوية إسلامية وهى لا تعدوا مخزونا ثقافيا لشعب الجزيرة العربية الذى تتمحور هويته حول رفض العمل بكل أنواعه فهى هوية لا تقدس العمل وتحتقره ... وانتقل احتقار العمل من الشعوب العربية الغازية إلى كل العجم فى العالم الإسلامى الآن خاصة مصر والشام والعراق

وفارس وباكستان فرأينا هذه الشعوب تصنع أبطالا لقصصها الميثولوجية لتاجر ألف ليلة وليلة أو شاعر أو عالم فى الفقه أو محارب يقتل بسيفه الآلاف عن اليمين والشمال أو محارب آخر فى ميادين النساء أو سارق أو نصاب فكل من يعمل يرفع شعار" مجبر أخاك لا بطل ".

أما العمل لدي الشعوب العظمى التى تقدمت عنا بمئات السنين تجعل من العمل واجباً دينياً وتعتبره إحدى وسائل الخلاص ولا تختلف فى ذلك الماركسية قديماً أو الليبرالية حديثاً حيث الاتفاق على أن العمل هو القيمة الأولى فى المجتمع حتى أنها أعطت أهمية فائقة لطبقة العمال فى مجتمعاتهم.

إن العمل الردئ الذى نتقنه الآن هو نوع من الاحتجاج الصامت الذى يستحيل تتبعه وعقابه وذلك بسبب ما يتعرض له العامل من الصعوبات المادية وعدم التقدير الكافى والشعور بالغبن واستحالة التعبير عنه بالطرق الحرة والقانونية لانتشار الطغيان والفساد فى المجتمعات الإسلامية.

واحتقار العمل عند البدوى أصبح حركة هابطة من الماضى إلى الحاضر، وهى الحرّكة التى جعلت تراث الماضى مؤسسا لأزمات الحاضر من خلال تجوله إلى مخزون نفسى لدى المسلمين وقبل قيمة العمل نجد قيما أخرى فقدت إيجابياتها وأصبحت عبئاً على أن تتقدم مثلاً النظر إلى المرأة ومشاركتها فى بناء الحضارة، كذلك النظرة إلى الفنون بكل أنواعها بل والعلوم المادية مثل الكيمياء والفيزياء والطب والهندسة وغيرها من العلوم التى تصنع الحضارة.

إن هذا المخزون النفسى لدى الجماهير والذى انتقل لهم من المخزون الثقافى البدوى قد أدى بالتالى إلى إهمال العلوم.

إن تجديد التراث وكشف المسكوت عنه فيه يضع لبنة صادقة فى بناء حضارى قائم على المصداقية التى ترفض ازدواج المعايير التى تعيشها الآن

صفات شيخ القبيلة :

أن يكون من أشرف رجال القبيلة . أكثرهم مالا . أكبرهم سناً . أعظمهم نفوذا . يجب أن يكون سخي و حليم و حكيم و شجاع . يفتح بيته للضعفاء و للنزلاء و الضيوف . يدفع الديات عن فقراء قبيلته .

مزايا شيخ القبيلة : كان حكمه نافذ على جميع أفراد القبيلة . كانت له ربع الغنيمة [جاء الإسلام و أقر الخمس] ـ له الصفي : أي قبل أن تقسم الغنائم له أن يصطفي سيف أو جارية أو فرس أعجبه ثم بعد ذلك تقسم الغنائم .[و قد ابقي الإسلام على ذلك ، فزواج الرسول صلي الله علية وسلم من صفية كان بتلك الطريقة]. و له الفضول أي [ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة] . (تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٤١٥ . قصة الحضارة عصر الإيمان .ول ديوارت ص ١١ ترجمة محمد بدران . مكتبة الاسرة) .

صفات العربي :

كان العربي يمتاز ببعض الصفات و المميزات التي أمتاز بها عن غيره ، حتى أنه أمتدح تلك الصفات و أمتداح ايضاً الشخص الموجودة به تلك الصفة . و من ضمن تلك الصفات الشهيرة :

الكرم : فلقد كان العربي يمتاز بالكرم فهو يتباهى بكثرة الأضياف ، و يستهين في ذلك بالمال ، و هو يعتبر الكرم إحدى مظاهر التسيد . و لذلك فهو يسعى لاجتذاب الغرباء في الليالي بإيقاد النار حتى يراها المسافر فيقصدها ، كما

يستخدم أيضا نباح الكلاب لإرشاد المسافر عن مكانه ، و من أشهر المتصفون بالكرم بين القبائل العربية حاتم الطائي .

فيقول حاتم الطائي في ذلك :

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد و ما كنت لولا ما تقولون سيدا

و كان يتجلى كرمهم أيضا في إكرام الأرامل و اليتامى و السائلين إذا ما اشتد البرد . و مازال الكرم و السخاء من الفضائل العربية الكبرى حتى الآن .

الوفاء : فالعرب يمتازون بالوفاء بالعهود و بكراهية الغدر ، و كانوا يضربون الأمثال بالأشخاص الأوفياء

العفة : وكان العرب يمتازون بالعفة و غض البصر عن نساء الغير و هذا كان من شروط السيادة ، و كانوا يفتخرون بالعفة و يمدحون بها . و هنا نرى شعر لعنترة بن شداد يقول فيه

و أغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

الشجاعة : و يتصف عرب البادية بأنهم أكثر شجاعة من أهل المدن .

الحلم : كانوا يحرمون الظلم و يتحالفون عن الكف عنه ، كانت عندهم كلمة [إذا ملكت فأسجح] يقصد بها طلب العفو و الحلم . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . الألوسي ج١ ص ٩٩ إلى ١٠٣]

الأسرة في المجتمع الجاهلي

و الآن و بعد أن تعرفنا على القبيلة و درسنا مما تتكون ، ورأينا حاكم القبيلة (شيخ القبيلة) و ما يتمتع به من مميزات . فهنا نتكلم عن الأسرة في العصر الجاهلي ، كيف كان يتم الزواج فيها ؟ و هل كانت الأسرة تعيش داخل نظام همجي عشوائي ؟ أم كان هناك طقوس وأنواع مختلفة للزواج ؟ فسوف نرى أن العربي في الجاهلية كان لا يكتفي بزوجة واحدة ، إما بقصد إعالتها أو لغرض سياسي . و لكن كان هناك عدة أنواع من الزواج داخل القبيلة ، و سوف تلاحظ عزيزي القارئ إقرار الإسلام بتلك الأنواع من الزيجات و موافقته عليها و الأخذ به . و حتى الطلاق في الجاهلية أيضاً قد أقره الإسلام بنفس طقوسه ! .

أنواع الزواج و الطلاق قبل الإسلام :

١. زواج الصداق أو البعولة : و هو الزواج الذي بخطبة ومهر يحدده والد العروس ، و هذا مما كانت تشتهر به قريش .

٢ . زواج المتعة : هو الزواج الذي يتم فيه الإتفاق بين الرجل والأنثى على وقت محدد و يقدم الزوج مهر محدد و إذا انقضت المدة ذهب كل واحد في طريقه ، و إذا أنجبت الزوجة مولوداً ينتسب الولد لوالده .

٣ . زواج السبي : و هو زواج الرجل المحارب من امرأة وقعت في السبي ، و لا يشترط مهر أو أي شيء .

٤ ـ زواج الإماء : من حق الرجل أن يتزوج من أمته ، فإذا أنجب منها أولاداً لا يحق لهم الانتساب إليه ، بل يظلوا عبيد له ، و قد يعتقهم إذا رغب .

أما الطلاق : فقد كان العرب يطلقون نسائهم ثلاث على التفرقة ، أو تخلع منه بمال ، و إذا مات الزوج يجب أن تقضي الزوجة مدة عام كامل حتى يتضح ما إذا كان هناك حمل أم لا. و جاء الإسلام وأقر التفرقة على ثلاث و جعل مدة الانتظار أربعة أشهر و عشرة أيام . كما أنه أبقى على بعض عادات الزواج السابق ذكرها.

(بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ٤٩، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص٤٤٦ د/ سيد عبدالعزيز سالم . دار النهضة العربية بيروت) .

و من الجدير بالذكر هنا هو أن العرب في الجاهلية كانوا يحرمون أشياء في الزواج و عندما جاء الإسلام حرمها أيضاً فيما بعد و أقر تحريمها لنفس الأسباب و منها : عدم نكاح الأمهات ولا البنات و لا الخالات و لا العمات . و سوف نرى بالتفصيل بعض الفرق الدينية التي كانت موجودة قبل الإسلام و كانت تحرم زواج المحرمات مما يجعلنا نرى تأثير الحياة القبلية و الدستور الإنساني على الشريعة الإسلامية .

الطبقات الاجتماعية والعنصرية

كان النظام الطبقى فى الجاهلية نظام متين البنيان لا يقيم وزناً لأى تغيير طارئ فالقبائل لها أنساب تنتسب إليها وهناك قبائل أكثر مجداً وأكثر عصبة من غيرها

وكل قبيلة تصرف موقعها الحقيقة فى مجتمع الجزيرة العربية، وانتقل نفس التقسيم فى مجتمع قريش نفسه حيث كانت تحدد مكانة كل قبيلة فى حكومة الملأ. فمعروف سلفا من له رياسة المجلس ومن مستشاروه حتى فى ترتيب الجلوس وتقديم فروض الولاء والطاعة، ولم يكن يغير هذا القانون العرفى أى حادث جلل فقبيلة مثل قبيلة عدى مثلاً التى منها عمر بن الخطاب لا يستيطع أفرادها أن يتغاضرون على هاشم أو أسد أو أمية مثلاً.

أما داخل القبيلة فهناك الترتيب ذاته بدءا من شيخ القبيلة وعصبته نهاية براعى الأغنام.

ولقد انتقل هذا التقسيم القبلى مع الإسلام وحتى الآن بعد ألف وأربعمائة سنة مضت على الإسلام وتعاليمه وقد تجد الآن أحد السعاة فى جامعة الملك سعود الذى لا يجيد القراءة والكتابة يتعالى ويتفاخر بنسبه على عميد الكلية التى يعمل فيها لأنه من قبيلة أعلى مقاماً من قبيلته.

لكن بعد الإسلام جاء تقسيم جديد خاص بالعرب والإعراب فجعل الإسلام العرب هم أهل مكة والمدينة أما الإعراب فهم القبائل التى دخلت الإسلام ودفعت الجزية دون اسلام حقيقى. ولقد أفنى فقهاء المسلمين بتأصيل التفرقة بين العرب والأعراب فهم يرون عدم أحقية الأعراب فى الفيء والغنيمة بل وإسقاط شهادتهم فى العرب الذين يعيشون فى المدن، وإن أمامتهم بأهل الحضر ممنوعة صالح العلى الدولة فى عهد الرسول جزء ١. ويقول الإمام مالك " لا يؤم الإعرابى وإن كان

أقرأهم" أحكام القرآن لابن العربي جزء ٢ ص ١٠٠٥ وإذا فعلوا هذا مع الأعراب البعيدين عن مكة والمدينة فقد فعلوا أيضاً بعد الإسلام ما كان قبله من تفرقة حاسمة بين العرب من ناحية والأعجام من ناحية أخرى. وبينهم وبين الموالى والإماء حتى أنهم كانوا يفرضون عليهم لباسا غير لباسهم وأعمالا غير أعمالهم وبعد الإسلام جعل الإسلام عقاب المرأة الزانية الحرة ضعف عقاب الأمة.

الفصل الثاني

الخلفية السياسية للجزيرة العربية

إن كان لدولتنا وزن
فلماذا تهزمها نمله ؟
أحمد مطر (ديوان المسائل)

تمهيد :

سوف ننتقل الآن إلى الظروف السياسية التي لعبت دوراً مهماً في تكوين وتركيب المجتمع القرشي الذي نمى و ترعرع على حساب ممالك الفرس و الروم و الغساسنة و المناذرة ، حيث كانت الأحوال السياسية للدولتين العظمتين البيزنطية ، و الفارسية بالغة السوء . وفي نفس التوقيت كانت دولة قريش تنشأ و تتبلور ملامحها ، و تستوي على عودها في يثرب . و نحن لسنا هنا للحديث عن تاريخ تلك الدولتين لكننا سوف نبرز أن الخطوط العريضة و الضربات الموجعة التي أدت إلى قسم ظهر كل منهما في نفس التوقيت هي نفس الخطوط التي ساعدت على إنجاح القرشيين في تأسيس دولتهم ، بالإضافة إلى بعض العوامل الأخرى للممالك الأخرى و التي سنتكلم عنها في حينه .

١. انهيار مركز اليمن الزراعي والتجاري وذلك في الربع الأول من القرن السادس الميلادي .

٢. سقوط اليمن تحت حكم الأحباش ثم الفرس .

٣. تضعضع أحوال الممالك العربية الشمالية (الغساسنة والمناذرة) في العصر الجاهلي . وذلك قبل الإسلام بفترة قصيرة . حيث وقعت تحت الاحتلال المباشر للفرس والروم .

٤. الفراغ السياسي في المنطقة الممتدة من سواحل المحيط الهندي جنوباً وحتى الخط الفاصل بين الإمبراطوريتين في بادية الشام شمالاً .

٥. انهيار مجموعة طرق لم يبق آمناً من بينها سوى الطريق المار بمكة قادماً من موانئ اليمن ليتجه شمالاً متفرعاً إلى فرعين نحو فارس شرقاً وروما شمالاً وغرباً في داخل الحدود الفلسطينية والمصرية .

٦. نشوب الحروب الطاحنة بين الفرس والروم ومطاردة كل منهما للأخرى في كافة المواضع الممكن الوصول إليها مما أدى إلى انهيار بعض الطرق التجارية الأخرى ولم يبق طريق مأمون غير طريق مكة لمناعته الصحراوية .

٧. فقدت مملكة الحيرة استقلالها وتحولت إلى إمارة يحكمها أمير فارسي .

٨. و هناك عامل ديني مهم و هو اضطهاد الروم والفرس لليهود والمسيحيين .

أما بالنسبة لمنطقة الحجاز (مكة ويثرب) فقد كانت تتمتع باستقلالها لوضعهما الجغرافي ووعورة الطريق إليها فكانت هما البيئة العربية الخالصة .

و نتيجة لعدم الأمان وانتشار قطاع الطرق على خطوط التجارة بشبه الجزيرة العربية، ساعد ذلك مكة في زمن قصى بن كلاب لكي تكون محطة ترانزيت كبرى قابضة للعشور ، ثم تحولوا لشراء البضائع القادمة من موانى اليمن والاتجار بها لحسابهم في بلاد الشمال . وذلك لأن السفن في ذلك الوقت لم تستطع استعمال البحر الأحمر المملوء بالجزر التي تجعل الملاحة فيه خطراً ، وأيضاً لأن شواطئها قليلة الموانى .

الظروف السياسية لمكة :

مائة وخمسون سنة هي المدة بين قيام الدولة الإسلامية وبين مؤسسها قصي بن كلاب وهو أول من أستخدم الدين وسيلة للترابط بين القبائل العربية عن طريق الحج باعتبارها الشعيرة المجمع عليها من القبائل ، ثم الانتقال من وتيرة التماسك إلى وتيرة التوحيد تحت هيمنة قريش وأصبح القرشيون أنفسهم شخوصً مقدسة أو على الأقل القليل تخالطهم قداسة ملموسة ومن ثم أطلق عليهم " أهل الحرم " ومن البديهي أن شيوخهم يتمتعون بقدر وافر من القداسة . ولهذا أمر شعبه بأن يبنوا بيوتهم في الحرم وحول البيت وعلل بذلك بالقول : (لا يستحل العرب قتالكم ولا يستطيعون إخراجكم فتسودوا العرب أبداً) .

حكومة الملأ : كانت هناك حكومة تحكم بمكة تدعى حكومة الملأ وهي عبارة عن مجلساً سلطوياً يضم أشراف وأثرياء مكة قام من أجل إحكام سيطرة الأرستقراطية المكية التجارية على مختلف الشؤون بغرض تناغمها جميعاً مع مصالحهم . وكان لا يستطيع أحد دون الأربعين من العمر ، أو غير حر حضور جلسات تلك الحكومة .

الإيلاف : مع بداية عصر جديد من الانفتاح التجاري و الاقتصادي ، و الشهرة الدولية لقريش . تم تكوين " الإيلاف "وهو للتأليف بين قبائل مكة التجارية أو أثرياء مكة تحديداً وبين القبائل الضاربة على الخط التجاري الواصل بين حدود الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية ، ثم تأليف ثان بين قريش وبين القبائل الضاربة في باطن الجزيرة في خطوط فرعية ، ثم تأليف ثالث بين قريش وبين الإمبراطوريتين أنفسهم .

ما المقصود بكلمة قريش ؟

هي كلمة اشتقت من التقرش أي التجمع بعد التفرق ، وقيل سميت قريش بهذا الاسم من التقرش أي التكسب والتجارة ، و هذا مرتبط بنجاح النشاط الاقتصادي و ما نتج عن ذلك من تراكم الثروة و الربح فقد قال رؤية بن العجاج :

قد كان يغنيهم عن الشغوش و الخشل من تساقط القروش

شحم و محض ليس بالمغشوش

قال أبن هشام : و الشغوش نوع من القمح . أما الخشل فهو رءوس الخلاخيل . و القروش هي التجارة و الاكتساب . المحض هو اللبن الحليب الصافي .

حكاه أبن هشام رحمه الله وقال [البيهقي أن معاوية قال لأبن عباس فلِمَ سميت قريش قريشاً ؟ قال : لدابة تكون في البحر تكون أعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغيث والسمين إلا أكلته] .

فأنشد الجمحي إذ قال :

و قريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريـش قريـشا
تأكل الغيث و السمين و لا تتركن لذي الجناحين ريشا
هكذا في البلاد هي قريش يأكلون البلاد أكلا كميشا
و لهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم و الخموشا

(أبن هشام ج١ ص ٦٣. أبن كثير : البداية والنهاية ج٢, ص١٨٧ـ الإسلاميات . سيد القمني ص ٣٠) .

أما د/ كمال سعفان فيقول : إن اسم مكة مشتق من صيغة سبئية تعني المزار أو المعبد و هي(مكورابة أو مكرابة). و قد جاء ذكر مكة بهذه الهيئة في جغرافية بطليموس . مج ٢ ص ٢٠٠ (موسوعة الأديان القديمة . معتقدات أسيوية . ص د/ كامل سعفان دار الندي٢٦) .

الفصل الثالث

الخلفية الاقتصادية و التجارية

إن كان البترول رخيصاً

فلماذا نقعد في الظلمة ؟

و إذا كـان ثمينـاً جـداً

فلماذا لا نجد اللقمة ؟

أحمد مطر (ديوان المسائل)

لقد شاع بين الناس أن العرب في جاهليتهم كانوا أمه منعزلة عن العالم ، و لا تتصل بغيرها أي اتصال ، و أن الصحراء من جانب و البحر من جانب آخر حصراها و جعلاها منقطعة عمن حولها ، و لا تتصل بهم في مادة ، و لا تقتبس منهم أدباً و لا تهذيبا، و سوف نرى أن ذلك كله ما هو إلا أكاذيب ساقوها والحقيقة الواضحة للبيان هي ، أن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم مادياً و أدبياً ، و إن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة لذلك العهد . نظراً لموقعها الجغرافي و لحالتها الاجتماعية و هذا الاتصال بين العرب و غيرهم كان من طرق عدة أهمها :

١ـ التجارة : فكانوا يسافروا لممالك مصر و الشام للتصدير و الاستيراد . و هذه الطرق التجارية أفادت العرب فائدة كبيرة و فتحت لهم باباً كبيراً للرزق ، فمنهم من كان يسكن المدن الواقعة على الطريق و يتاجر بنفسه ، و منهم من كان يُستخدم في التجارة كسائق أو حارس أو دليل . وقد جاء في كتاب الأغاني للأصفهاني أن [إن عمارة بن الوليد المخزومي و عمرو بن العاص كانا كلاهما تاجرين خرجا إلى النجاشي و كانت أرض الحبشة لقريش متجراً و وجها) (فجر الإسلام . أحمد أمين ص ٢٣،٢٤) .

و من ناحية أخرى يذكر البغدادي أن (هاشم بن عبد مناف) جد النبي الأكبر قد هلك في غزة . على أعتاب مصر . كما يذكر أن (المغيرة بن شعبة) قد دخل مصر كثيراً قبل إسلامه ، (هوامش الفتح العربي لمصر. ص ٧ دار سينا للنشر) . كما دخل أيضاً (عمرو بن العاص) مصر و وصل إلى الإسكندرية محملاً بالعطور و الآدم (الجلود) . و لا ننسى أبو سفيان هذا التاجر المشهود له بالبراعة و الحنكة في البيع و الشراء و الدهاء . و كيف أن هؤلاء كلهم و هم سادة في قومهم كان لهم دوراً كبيراً في إدارة شئون الأمة الإسلامية بعد ذلك . (فجر الإسلام . أحمد أمين ص ٢٧) .

و قد بلغ المكيون قبل الإسلام عندما كان العداء بين الفرس و الروم بالغاً منتهاه مبلغاً عظيماً في التجارة ، بل قد كان الروم يعتمدون على تجارة مكة في كثير من شئونهم .

ومن هنا يمكننا القول أن بعض العوامل و الظروف قد لعبت دوراً مهماً على الدفع بقريش إلى الأمام و لعبت نفس العوامل على الدفع ببعض الدول إلى الخلف ، و قد أستغل قادة قريش و سادتهم الحكماء تلك الظروف أحسن استغلال . و من هذه الظروف :

- انهيار الطرق التجارية المارة بمواطن تلك القبائل في بقاع الجزيرة مما أدى لسقوط معابدها وكعباتها وتدني شأن ألهتها بفقدها لنشاط الاقتصادي مع تحول التجارة عنها إضافة إلى النمو الذي حققته الظروف لمكة وهو ما أضعف شأن الأسواق الأخرى إلى حد التضاؤل والتهميش .

- وأدى فشل حملة الفيل (أبرهة) بسبب وعورة الطريق وعدم درايته به وانتشار مرض الجدري المهلك كما يقول أبن إسحاق (أبن هشام في كتاب الروض الآنف للسهيلي ج١ص٦٩) كل هذا أعطى تعظيم وهيبة لقريش وقال العرب أنهم أهل الله . (سيرة النبي محمد .كارين أرمسترونج . ص دار سطور مصر ١٠٥) .و قد قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه قال : إن أول ما رئيت الحصبة و الجدري كان في أرض العرب ذلك العام . أما الأستاذ عباس العقاد فكان يبدو على قناعة تامة بدور الجدري في هزيمة جيش الفيل فيقول (و قد فتك الجدري بجنود أبرهة و انهزامه عن البيت .... إن حديث الجدري الذي فشا عام ٥٦٩ مثبت ..في تاريخ بروكوب الوزير البيزنطي المعروف) . و هذا بالإضافة لما يقوله السهيلي : بأن جيش أبرهة تعرض لهجوم جوي فريد من نوعه . إذ أرسل الله طيور عل الجيش ترميه بالأحجار و كانت أنيابها كالسباع ، و أكفها كأ كف الكلاب . (الروض للسهيلي .ج١ ص ١٧٣العقاد . طوالع البعثة المحمدية ص ١٤٥ . الإسلاميات . سيد القمني . ص ٢٧ ط١ المركز المصري للبحوث و الحضارة) .
- وفي مزيد من الحفاظ على المكاسب ودوامها تمكن الملأ القرشي من تنظيم أسواق بعينها في هيئة مواسم منظمة بمواقيت تتفق ومواسم المحاصيل سواء في الجزيرة أو شرق أفريقيا أو الهند وتم الاتفاق على تحريم مواقيت تلك الأسواق إيمانياً ومصلحةً لضمان الموسم الأكبر (الحج)

التي تسمى الأشهر الحرم وكان من أكبر هذه الأسواق هو سوق عكاظ الذي كان تجاري وثقافي وديني أيضاً .

- نتيجة للتطور التجاري وما صحبه من تقسيم العمل وتضخم ملكيات رؤوس الأموال مقابل فارق طبقي كبير نتيجة لتفاوت توزيع الثروة مع اختلاف الأوضاع والأدوار في العملية التجارية التي تقودها مكة .
- شكل الأساس الاقتصادي المتين بين قبائل قريش روابط قيادية للعملية التجارية فتوزعت الأدوار ما بين مالك للمال وعمال تسهيلات للشحن وآخرون يبتهلون الفرص على الطريق لتقديم الخدمات الضرورية للقوافل في نقاط محددة ومحطات للترغيب في الاستراحة وبيع خدمات الراحة ، هذا بالإضافة إلى التجار الصغار وشيوخ القبائل الذين يتقاضون الإتاوات مما أدى إلى انتشار التعامل النقدي بعملات الفرس والروم .

كل ما سبق أدى لتفاوت كبير وفوارق شاسعة أدت إلى فك هذا بالتدريج روابط النظام القبلي القديم

بعض الحرف الأخرى

لكل مجتمع جغرافية تتحكم فيه وكان مجتمع الجاهلية مجتمع صحراوى شديد الحرارة وكانت ظروف المناخ تحدد الحرف التى يحترفونها داخل سقف حركى صامت فكانت متعة الكسل هى سقف كل الحرف التى يعملون فيها وهى على النحو التالى.

التجارة : وكانت هذه الحرفة خاصة بأصحاب الشأن فى قريش فقط ولم يكن العربى يقوم بها وحده وإنما كان يمارسها من خلال عبيده الذين يسخرهم لخدمته.

الرعى : وهى حرفة من لا حرفة له وهى رعى الإبل والأغنام والماعز وكان يقوم بها النساء مع بعض الرقيق.

الغزو : وكان الغزو يستخدم كحرفه عالية الهمة لتثبيت الوضع الأدبى للقبيلة من ناحية وتسبب المتعة والمكسب السهل من ناحية أخرى.. وقد يفتقد البعض أن الغزو قد يكلف القبيلة المعتدية كثير من القتلى كما يتطلب كثيرا من الشجاعة لكن التاريخ يذكر لنا من خلال التراث العربى أن الغزو كان يتم فى معظم الأحوال فى غفلة من المعتدى عليهم فدائماً يؤخذون على غرة وبمكائد محبكة وسيناريوهات تمتلئ بالخداع والخبث والجبن أيضاً.

تجارة الرقيق : وكانت منتشرة فى التجمعات السكانية الكبيرة وكانت تجارة رابحة وكان معظم الرقيق يأتى من الشام والعراق والحبشة حيث يذهب اللصوص لسرقة الصبيان والفتيان.

الدعارة : وكانت منتشرة بصورة فجة خاصة فى مكة وذلك لتسهيل وتوفير الراحة والمتعة للتجار المسافرين والقادمين من اليمن والشام ومصر والعراق.

الزراعة : وكانت فى مناطق محدودة مثل الطائف ويترب وبعض قرى اليمامة. وكان العرب يحتقرون هذه المهنة وكثيراً ما كانوا يقزونهم أثناء فترة الحصاد لنهى زراعتهم وكانوا يفرضون عليهم إتاوة لحمايتهم من غزو الآخرين. وبعد الإسلام سموا أهالى البلاد الزراعية بالعجم خاصة مصر والشام والعراق وأطلقوا على الفلاحين الأعاجم لفظ "العلوج" وهى قلب كلمة (عجل) وهى كلمة توحى بالتسلط والتعالى وفى الحديث الشريف " إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم إذ ناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم " (محسن عبد الرؤوف المنادى شرح الجامع الصغير)

المستوى الفكري لسكان الجزيرة :

الآن سوف نتكلم عن أمر من الأمور الهامة و هو العقلية العربية كيف كانت و ما هو المستوى الفكري لعرب الجزيرة ؟ فمن المهم جداً أن نعرف و نتكشف عقليتهم و ثقافاتهم و أسلوب تفكيرهم حتى نستطيع تكوين وجهة نظر و صورة مصغرة حقيقية عنهم .

فقد كان العرب و خاصة عرب اليمن [كانت اليمن تعرف باسم سبأ القديمة ثم يمنات و يمنت أي اليمن و الخير . و هي صاحبة حضارة عريقة و معروفة] كانوا على أحسن حالا من التمدن . فقد بنوا القصور و من أشهر تلك القصور هو قصر غمدان و بينون و سلحين ، و يعتبر قصر غمدان من القصور الأسطورية التي أبدع الإخباريين في وصفها و تصويرها . كما يعتبر أقدمها و أعجبها . و شيدوا الحصون ، و كان لهم مدينة عظيمة شرح حالها الإخباريين و هي مدينة [سبأ] . فقال القرآن عنها { لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور} . و هذا يدل على كمال وقوفهم على العلوم التي حفظت نظامهم، كما كان لهم جيش و سياسة . و إجراء لسير المياه . مما لا

يمكن وجوده مع الجهل و عدم المعرفة . (تعليق الألوسي) . [تاريخ العرب في العصر الجاهلي . ص١٠٤ . ١١١] .

أما بنو عدنان . فكانوا ممن جاور اليمنيين ، و نتيجة أنهم ساروا وراء الخز اعي عمر بن لحي و ساروا خلف معتقداته و أفكاره ، فلم يبقى عندهم علم منزل ، و لا شريعة مورثة من نبي و قفلت علومهم العقلية كالطب و الحساب ، و لم يبقى لهم سوى العلم بالنجوم أو في الحروب . و يعلق الألوسي فيقول [أن المراد بالأميين العرب منسوبة إلى علومهم الفطرية و معارفهم الطبيعية مما تدل على حدة أذهانهم و قوة فطنتهم . [الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٣ ص ٨٠ و ٨١] .

الرها ونصيبين و المدائن و جنديسابور و إنطاكية : من المراكز الهامة التي ازدهرت فيها العلوم اليونانية في المنطقة و التي تتكلم السريانية و الفارسية و كانت تلك المراكز هي مراكز إشعاع بالنسبة للنساطرة و اليعاقبة . و قد برع علماء تلك البلاد في الطب مثل شمعون الراهب المعروف بطيبوبة الطبيب ، وقد ترك كتاب في الطب ترجم للعربية في القرن السادس .(المسيحية و الحضارة العربية د / جورج شحاتة قنواتي ط٢ دار الثقافة)

أما عن إنطاكية تلك المدينة التي بناها أنطوكيوس وقال عنها المسعودي في مروج الذهب عن مدى تقدم العمارة و الفنون فيها فقال [كانت دار ملكه و جعل

بناء سورها أحد عجائب الدنيا في البناء على السهل و الجبل ، و مسافة السور أثنى عشر ميل ، و جعل عدد الأبراج فيه مائة و ستة و ثلاثون برجاً ، و جعل عدد شرفاتها أربعة و عشرون ألف شرفة ، و جعل كل برج من الأبراج كالحصن . و كان عليه أبواب من حديد ، و أثار الأبواب لم تزل باقية إلى هذا الوقت سنة ٣٣٢هـ] . و قد أظهر بها مياه أعين و غيرها لا سبيل إلى قطعها ، و جعل بها مياه منصبة في قني مخرقة إلى شوارعها و دورها . و كانت بها كنيسة مريم العذراء و بنيانها من إحدى عجائب العالم في التشييد و الرفعة ، و قد كان الوليد بن عبد الملك بن مروان قد أقتلع من هذه الكنيسة أعمدة عجيبة من المرمر و الرخام واستخدمها في بناء مسجد دمشق ،وقد حملت عن طريق البحر إلى ساحل دمشق .

أما جنديسابور فقد كانت بها مدرسة عظيمة على شاكلة مدرسة الإسكندرية و التي بناها أنو شر وان ، و قد رحب بالفلاسفة و العلماء الذين شتتهم جو ستنيان ، و كانت تلك المدرسة مشهورة بالطب أيضاً الذي لم يكن يدرس نظرياً بل عملياً ، و قد اتصل هؤلاء بعلماء الهند و جلبوا إلى البلاد أعشاباً طبية . و ينقل لنا الكاتب تأثير ذلك على الطب الإسلامي فيما بعد ، و قد أستشار الخليفة المنصور رئيس أطباء جنديسابور و هو جورجيس بن بختيشوع حينما دعاه إلى بغداد عام ٧٦٥م . و يرجح أن موقع تلك المدينة بجوار الحيرة .(المسيحية و الحضارة العربية . جورج شحاته .ص ١٠٠-١٠٧) .

المستوى الفكري للمكيين : أما على المستوى العقلي فقد أمسى ظاهراً رفض العربي وخاصة المكي لكثير من أشكال المعجزات الميتافيزيقية القديمة وخاصة إن كان ذلك المكي من الطبقة الثرية الأرستقراطية ولهذا لم يعد الفكر الديني ومفاهيمه سوى أسلوب لتنسيق المكاسب ومطية لمنافع مادية بحتة ، تخبرنا كتب السيرة بتسامح مطاط في قبول أي دين وأي معتقد مهما بدا شاذاً وغير مألوف شرط أن يكون دافعاً لمزيد من الحضور التجاري أو على الأقل شرط ألا يكون متضارباً مع المصلحة التجارية . في تلك الأثناء أنطلق عبد المطلب بن هاشم يضع أسس فهم جديدة ، فهم يجمع القلوب عند إله واحد ويتميز بأنه يلغي التماثيل والأصنام وغيرها من الوساطات و الشفاعات لأنه لا يقبل من أحد الوساطة إلا بالعمل الصالح وبدأ ينادي بهذا الدين الحنيفي لفهمه بأن التوحيد السياسي لا يأتي إلا بالتوحيد الديني .

يثرب قبل الهجرة :-

عرفت يثرب في القديم باسم المدينة و جاءت من مدينتنا و التي تعني باللغة الآرامية " الحمى " . و ذلك لأن اليهود هم سكان المدينة الأوائل و هم متأثرون بالثقافة الآرامية . أو بعض المتهودون من ارم هم الذين نزلوا يثرب و دعوها مدينتنا . و من هنا جاءت المدينة . أما كلمة مدينة على أنها مدينة النبي فهذا

يعتبر رأي . (خليل عبد الكريم قريش من القبلية إلى الدولة المركزية . ص ١٤٤ طـ٢ دار سينا للنشر) .

التشكيل الاقتصادي والاجتماعي ليثرب :

في الوقت الذي كانت فيه التجارة هي عصب الاقتصاد المكي فإن أعمدة الاقتصاد اليثربي قد أضافت إلى عماد التجارة زراعة الكروم والحبوب وكانت حبوب يثرب غذاء إستراتيجي لأهل مكة هذا مع نشوء الشكل الحرفي حيث تعاظمت صناعة السلاح إلى حد كبير وحققت اكتفائها ثم التصدير بشكل جيد من [السيوف والدروع والجحف والرماح والسهام ولباس الحرب من خوذ للرأس لا تظهر غير عيني المحارب ودروع ذات سمات رومانية تغطي الجسد كله] .

أما الشكل المجتمعي فرغم أنه كان أميل للاستقرار كنتيجة مباشرة لحرفة الزراعة فقد كان أقرب إلى القبلية المضطربة نتيجة لوجود عناصر ليست من أصول عربية ، أما الاعتقاد فقد مثلته ثلاث قبائل يهودية بنوقينقاع وبنو النضير وبنو قريظة و بجوارهم عشرون قبيلة يهودية أخرى . بينما مثل العنصر العربي قبائل نازحة من اليمن هي قبائل الأوس والخزرج و ذلك كان على عهود كانت بينهم ، و لا شك أنه كان يوجد في المدينة نصارى على شكل ما كان موجود في مكة ، من رقيق و موالي يقومون بخدمة سادتهم . (المسيحية و الحضارة العربية . ص ٨٢) .

وكأي تاجر سلاح كان لابد من دس الدسائس التي تؤدي إلى نشوب الصراعات التي تورث الضغائن والثأريات بين الأوس والخزرج لمديد من التنشيط الاقتصادي ، وقد أدى ذلك إلى صراعات قبلية كادت تمزقها مما جعلها فارغة من السلطة السياسية مقارنة بالملأ المكي .

أسباب العداء بين يثرب ومكة ؟

لقد كان غياب دور يثرب في مصالح مكة ووقوع يثرب على الطريق الإيلافي الشامي إلا أن حكومة قريش لم تسعى لعقد أي اتفاق مصلحي مع يثرب الذي يمكن أن يعود على يثرب بمصلحة وفائدة وذلك اعتماد اً على التمزق الداخلي لها الذي كان كفيل لشغلها عن مكة وتجارتها ، بل وساعدت قريش في إضرام النار بين الأوس والخزرج .

لقد كان اشتغال أهل يثرب بالزراعة والرعي عامل مؤثر في العلاقة بين مكة ويثرب ذلك لأن تلك المهنة كانت تمثل بالنسبة للمكي امتهان للشخصية وعيباً يعاب به المشتغل بها فكان الرد الطبيعي هو العداء والكراهية لتلك النزعة المتكبرة .

ومن هنا كان التحالف بالمصاهرة بين الخزرج والهاشميين ثم استقبال الخزرج لأبن أختهم الهاشمي وصحبه رداً لجرح الماضي ولبعد النظر الواعي والنافذ

للوعد النبوي بوحدة تلم الشمل لتقف يثرب كمنافس لمكة له شأن وربما كعاصمة لدولة كبرى مع مداولة الأيام .

كان من طباع أهل يثرب الخبرة الحربية والجلد نتيجة الحروب الداخلية أو حروب الإغارة عليهم من قبل جيرانهم لسرقة **مواشيهم** فكانوا بالمقارنة مع أهل مكة أفذاذ حرب وأهل عدة وسلاح حتى عرفهم التاريخ بأنهم الحرب والدم والحلقة و في الوقت الذي أستر هفت فيه مكة واطمأنت فقد أصبحت يثرب بيت سلاح مما جعل اليثاربة رجال بأس . وإذا أضفنا إلى ذلك ما توفر ليثرب من ماء وغذاء إلى حد الاكتفاء للصمود في المعارك وهي كلها معلومات توافرت للرسول صلي الله علية و سلم وقيمتها أنها تقع على طريق الإيلاف الشامي .

المستوى الفكري لليثاربة :

كان هناك اختلاف كبير بين يثرب ومكة ، فمكة بدأت تستخدم الدين كأداة لتخديمها لصالح المكاسب المادية ، ولكننا نجد في يثرب اليهود ومعهم كتابهم المقدس بوصاياه وشرائعه التي حازت احترام العرب اليثاربة بالإضافة إلى أن النبوات التوراتية المتواترة عن مجيء نبي آخر الزمان ليقيم لليهود دولتهم والتي سقطت سنة ٧٠م . ووجدت يثرب واستقت فكرة التوحيد جيداً منهم . كما كان التحريمات اليهودية المفروضة على السلوك تمهيد لقبول العقيدة الجديدة .

الفصل الرابع

شخصيات أثروا في شبة الجزيرة العربية

قال لزوجه : اسكتي .

و قال لابنه : انكتم .

صوتكم يجعلني مشوش التفكير .

لا تنبسا بكلمة

أريد أن أكتب عن

حرية التعبير !

أحمد مطر (مسألة مبدأ)

بعد أن انتهينا من تقديم نبذة عن عقلية العربي الموجود بالجزيرة العربية و كيف يفكر و خلفية تكوين ثقافته . و بعد أن وجدنا بعض أسباب العداء المنطقية بين القرشي و اليثربي ، و الخلفية الاقتصادية و الدينية التي تربى عليها اليثربي و التي هيأت الظروف لمحمد صلى الله عليه وسلم لإنجاحها عن طريق الأنصار .

فقد ظهرت لنا مما تقدم ملامح الجزيرة من الناحية السياسية . و الفراغ السياسي الموجود بتلك البقعة المليئة بالقبائل التي تعتز بشخصيتها ، و سوف نلاحظ فيما بعد كيف أن وجود المسيحية و اليهودية و وجود كتاب مقدس لتلك الديانتين قد أثروا تأثيراً كبيراً و لعبت دوراً مهماً في تشكيل عقلية العربي ، و كيف أن و جود أمة عربية لا يمكن أن تجتمع إلا تحت لواء ديني فقط ، و خاصة أن تلك القبائل كانت متباغضة و متعادية . و يسمو هذا الدين بأخلاقهم عن شريعة العنف و القتل . و كانت عقيدة المسيا المنتظر التي يؤمن بها اليهود قد لعبت و طافت بعقول المبدعين . فسمعنا عن عدد من المتنبئين في بلاد العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم (قصة الحضارة عصر الإيمان . ص ٢٤) و من أمثال هؤلاء زيد بن عمر و الذي قال عنه محمد صلى الله عليه وسلم أنه موحد الجاهلية ، و مثل قس بن ساعدة و الذي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر أن يقص عليه من شعره ، و هذا خالد بن سنان و

الذي قال عنه النبي أنه نبي ضيعه قومه ، مع أن القرآن لم يذكر لنا شيء عن رسالته ، و لا حتى الأديان السابقة أخبرتنا عنه بشيء . و هذا أمية بن أبي الصلت الذي جاء و شرح لنا في شعره عن غيبيات لا يعرفها الإنسان ، و هي شرح لحملة عرش الله ، و الذي جاء نفس الوصف في القرآن . و آخرون سوف نتكلم عنهم سالفاً .

زيد بن عمر بن نفيل :-

تذكر كتب التاريخ الإسلامي أنه تهود ثم تنصر ثم صار من الذين يطلبون دين الحنيفية . كان لا يذبح للأنصاب و لا يأكل الميتة و الدم . و قد سمعته أسماء بنت أبو بكر يوم و جدته مسند ظهره إلى الكعبة يقول [يا معشر قريش : و الذي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري] و قد مات قبل مبعث محمد .

و قد قال فيه ابن أسحق : و أما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في النصرانية ، و لا اليهودية و فارق دين قومه ، فأعتزل الأوثان وامتنع عن أكل الميتة و الدم و الذبائح التي تذبح للأوثان ، و قد نهى عن قتل الموءودة ، و قال : أعبد رب إبراهيم ، و قد بادئ قومه بعيب ما هم عليه .

و كان يقول : اللهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ، و لكني لا أعلمه ، ثم يسجد على راحلته .

و حدثت أن ابنه سعيد أبن زيد و عمر بن الخطاب و هو أبن عمه ، قالا لرسول الله : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم فإنه يبعث أمة وحده يوم القيامة .و قال أبن كثير أن الرسول قال : [يحشر ذاك أمة وحده بيني و بين عيسى أبن مريم] [أبن هشام في السيرة النبوية ج ١ ص ١٤٢ تحقيق الشيخ محمد بيومي . المركز الثقافي الازهر ط١] .

كما أنه كان ينادي بتحريم الربا فيقول : يا معشر قريش : إياكم و الربا فأنه يورث الفقر [أسد الغابة في معرفة أحوال الصحابة . للأثير. ج ٢ ص ٢٦٩ ، محمد . كارين أرمسترونج ص ١١٠]. و يقول البيضاوي عند تفسير { فلا تجعلوا لله أندادا } قال عن زيد أنه موحد الجاهلية . و هو القائل في الوثنية :

أرباً واحداً أم ألف رب　　أدين إذا تقسمت الأمور
و لكن أعبد الرحمن ربي　　ليغفر ذنبي الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها　　متى لا تحفظوها لا تبوروا
(تهلكوا)
ترى الأبرار دارهم جنان　　و للكفار حامية سعير

و أيضاً

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى　　أدين إلها غيرك الله ثانيا
و أنت الذي من فضل و رحمة　　بعثت إلى موسى رسولا منادياً

و أيضاً

أ أنت رفعت هذه بلا عمد أرفق إذا بك بانيا ؟

أ أنت سويت هذه بلا وتد حتى اطمأنت كما هي

من يرسل الشمس غدوة فيصبح ما مست من الأرض ضاحية

و قوله :

من ينبت الحب في الثري فيصبح منه البقل يهتز رابيا ؟

و قال أبن إسحاق : كان الخطاب بن نفيل (عمه و أخاه لأمه) قد آذى زيد بن عمرو ، حتى خرج إلى أعلى مكة ، فنزل بغار حراء . و قد وكل الخطاب بعض الشباب و السفهاء ليمنعوه من دخول مكة ، حتى لا يفسد عليهم دينهم و حتى لا يتبعه أحد . و أنهى حياته في الموصل و أنتهي إلى راهب بميفعة [أسم موضع مرتفع عن الأرض] كان أهل العلم و النصارى ينتهوا عنده ، فسأله عن الحنيفية فقال له ما قال ، فقام و أراد الرجوع لمكة و لكن عند توسطه بلاد لخم عدوا عليه و قتلوه .

و قال عنه العلامة الدواني في شرح (ديباجة العقائد العضدية) و تبعه السيد عيسى الصفوي في (شرح الفوائد الغيائية) أن زيد بن عمرو نبي أوحى إليه لتكميل نفسه . [بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب للألوسي ج ٢ من ص ٢٤٧حتى٢٥١] .

قس بن ساعدة :-

هو قس بن ساعدة بن عمرو الأيادي ، هو من أياد كان حكيم العرب ، و قد ضرب العرب الأمثال بحكمته و عقله ، فهو خطيب العرب قاطبة ، عرف عنه الفصاحة حتى قيل (أفصح من قس) و كان أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية و هو أول من توكأ على عصا ، و أول من قال أما بعد ، و أول من كتب إلى فلان أبن فلان ، و أول من قال البينة على المدعي و اليمين على من أنكر . و هو الوحيد الذي اعجب محمد بعظته و روى كلامه . و هذه فضيلة . [بلوغ الأرب . الألوسي ج٢ ص٢٤٦] . و قال أبو بكر عندما سأله محمد صلى الله عليه وسلم عن كلامه بسوق عكاظ . قال أنه سمعه يقول أيها الناس أسمعوا وعوا . فإذا وعيتم فانتفعوا ، من عاش مات و من مات فات ، و كل ما هو آت آت . فإن في السماء لخبر ، وإن في السماء لعبرا ، مهاد موضوع . و سقف مرفوع و نجوم تمور ، و بحار لن تغور ، ليل داج و سماء ذات أبراج . و قد مات قس قبل البعث و أجمع أهل السيرة أنه مات كافر ، و قال عنه النبي في صحيح مسلم (٥ : ١١٠) أنه كاد ليسلم . و قال أيضا الرسول (ص)

[رحم الله قساً ، إني لأرجو أن يبعثه الله أمة وحده] ، قد ضرب العرب بحكمته و عقله الأمثال .

و قال عنه المسعودي : و لقس أشعار كثيرة و حكم ، و أخبار تبصر في الطب و أنواع الحكم ، و أغلب شعر قس مفقودة .

و من أشهر ما قاله أبي بكر للرسول لما سأل من يقص علي من شعر قس قال له أنا يا رسول الله فقال تلك الأبيات :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
و رأيت قومي نحوها تمضي الأوائل و الأواخر
لا يرجع الماضي و لا يبقى من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

[مروج الذهب و معادن الجوهر . المسعودي . ج١ ص٨٠ ط١ تحقيق سهام محمد اللحام دار الفكر]

و يجب أن نأخذ في الحسبان سؤال النبي عن عظته في سوق عكاظ ، ففي شأنه شأن أغلب الحنفاء ، فهو لم يكتفي بمجرد اقتناعه بفكرة ما ، بل كان يدعو لها بلا كلل مستغلاً في ذلك أهم ملتقى عربي و هو سوق عكاظ . و هو من القليلين الذين لم يهاجم دعوتهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل ترحم عليه . و نرى في أشعاره الكثير من البصمة الإسلامية بالرغم من أنه جاء قبل الإسلام .

عبد المطلب بن هاشم :-

كان مقراً بالتوحيد ، تاركاً التقليد ، و قد حفر بئر زمزم بعد أن كانت مطوية ، و هو أول من أقام السقاية للحجاج ، و هو الذي جعل باب الكعبة مذهباً ، و كان أول من أقام الرفادة و السقاية للحجاج ، و كان يوصي ولده بصلة الأرحام و إطعام الطعام ، و كان يؤمن بالبعث و النشور [مروج الذهب ج٢ ص ١٣٣] .

و كان قد نذر إن رزقه الله عز و جل عشرة أولاد ذكور أن يقرب أحدهم لله ، و حين رزقه الله طلبه ، أراد أن يقدم أحبهم لقلبه و هو عبد الله ، فضرب عليه القداح حتى افتداه بمائة من الإبل .

و قد وفى النذر و سن سنناً أقر الاسلام اكثرها و هي : أن الله يثيب المطيع و يعاقب العاصي ، الوفاء بالنذور ، و مائة من الإبل في الدية و ألا تنكح ذات محرم ، و لا تؤتي البيوت من ظهورها ، و حرم شرب الخمر ، و الزنا و الحد عليه ، و النهي عن قتل الموءودة ، و ألا يطوف أحد بالبيت عريانا ، و إضافة الضيف ، و تعظيم الأشهر الحرم . حتى أن قريش كانت تقول أن عبد المطلب هو إبراهيم الثاني .

و قد قال في الكرم

أعطي بلا شح و لا مشاحح سقيا على رغم العدو الكاشح

و قد روي عن الرسول أنه قال : إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة واحدة في هيئة الأنبياء و زي الملوك [تاريخ اليعقوبي . ج٢ ص ١٠ و ١١ و ١٤] . توفى عبد المطلب و عمر محمد ثماني سنين . و هو بالغ من العمر مائة و عشرون و آخرون

قالوا مائة و أربعون . و قد عظمت قريش موته ، فكان أول من غسل بالماء و السدر ، و لف في حلتين من حلل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب ، و طرح عليه المسك حتى ستره ، و حمل على أيدي الرجال عدة أيام إعظاما و إكراما لتغيبه.[تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣ دالا صادر بيروت] .

أمية بن أبي الصلت : -

أسمه عبد الله بن ربيعة بن عوف الثقفي ، توفى عام ٦٣٠م ، و هو من رؤساء ثقيف و شاعر مشهور من شعراء الطبقة الثانية و قيل الأولى ، قرأ الكتب القديمة و تهذب أحسن تهذيب ، و هو شاعر و كان يتاجر إلى بلاد الشام . و كان يقول الشعر و يمتلئ شعره بالكثير من الألفاظ التي كانت مجهولة و لا يعرفها العرب ، و أيضاً كان شعره مليء بالأمور الدينية . فكان يصف فيه الأرض و السماء و الشمس و القمر حتى الملائكة ، و قد ذكر الأنبياء و البعث و النشور و الجنة و النار . كما أنه كان يعظم الله و يوحده و كان محققاً و ألتمس الدين و هو القائل :

كل عيش و إن تطاول دهراً منتهى أمره إلى أن يزولاً
ليتني كنت قبل ما بدا لي في رؤوس الجبال أرعى الوعولا
فأجعل الموت نصب عينيك و أحذ ر غولة الدهر إن للدهر غولا

[المسيحية و الحضارة العربية . ص ١٤٨ . مروج الذهب ج ١ ص ٨١] .

و قد تشابه مع النبي في قصة تهيئتهما للنبوة ،

قيل عنه بأنه هبطت عليه كائنات مجنحة شقت قلبه ثم نظفته و طهرته تهيئة لمنحه النبوة [الحزب الهاشمي.ص ١٢٠. سيد القمني دار سينا القاهرة] .

و في (طبقات أبن سعد و أبن هشام و قصص الأنبياء لإبن كثير) قال عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في طفولته في بني سعد بن بكر و كان يلعب مع أخيه في الرضاعة ، خلف بيوت بني سعد و كان هناك طفل ثالث معهم ، أن الله أرسل ثلاثة ملائكة للقيام بشق صدره ، و لكنهم عندما أتوا لم يعرفوا محمد أيهم من الفتية الثلاثة ، حتى اقترعوا أن يأخذوا أجملهم ، فكان محمد

و في رواية أخرى في (البداية و النهاية لأبن كثير . تحقيق د/ أحمد عبد الوهاب ج ٢ ص ٢٨٠) يقول حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا الحسن بن نفير حدثنا عمرو بن عثمان ... عن عمرو السلمي عن عتبة بن عبد الله : أنه حدثه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال : كانت حاضنتي من بني سعد أبن بكر فانطلقت أنا و أبن لها و لم نأخذ معنا زادا ، فقلت : يا أخي أذهب فائتنا بزاد من عند أمنا فأنطلق أخي و مكثت عند البهو فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران ، فقال إحداهما لصاحبه : أهو.هو ؟ فقال نعم . فأقبلا بيتدراني . فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء ثلج فغسلا به

جوفي ، ثم قال : ائتني بالسكينة فدرها في قلبي ، ثم قال : أحدهما لصاحبه : خطه فخاطه و ختم على قلبي بخاتم النبوة .

و قد صدق الرسول أمية في بعض شعره ، و في صحيح مسلم عن الرشيد بن سويد قال ردفت رسول الله (ص) فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شئ ؟ قلت نعم . فقال : هيه . فأنشدته بيتاً فقال : هيه فأنشدته مائة بيت . فقال : كاد ليسلم . و في رواية أخرى كاد ليسلم في شعره .

و من شعره:

الحمد لله ، لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

[مروج الذهب ج ١ ص ٨١]

و عن بن عباس أن النبي أنشد قول أمية :

رجل و ثور تحت رجل يمينه و النسر للأخرى و ليث مرصد

فقال الرسول : صدق أمية فهذه صفة حملة العرش . و في شرح ديوانه لمحمد بن حبيب : يقال أن حملة العرش ثمانية رجال و ثور و نسر و أسد . هذه أربعة و أربعة أخرى . فأما اليوم فهم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى ، و ذلك قول الله { و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } [بلوغ الأرب . ج ٢ ص٢٥٣] . و هو أول من قال [باسمك اللهم] [مروج الذهب ج١ ص ٨٢] .

و لنا وصف لأمية قصة إبراهيم و أسحق فقال .

أبني إني نذرتك لله شحيطا فأصبر فدى لك حالي

فأجاب الغلام إن قال فيه كل شئ لله غير انتحال
أبني أني جزيتك لله تقيا به على كل حال
فأقضي ما قد نذرت لله و أكفف عن يمسه سر بالي
و شدد الصفت لا أحيد عن السكين حيد الأسير ذي الأغلال
أنني آلم المحز و أني لا أمس الأذقان دمي أن ذات السيال
بينما يخلع السرابيل عنه فكه ربه بكبش جلال
قال :
خذه و أرسل أبنك أني للذي قد فعلته غير قال

كان أمية في الجاهلية يقرأ الكتب و لبس المسوح تعبداً ، و كان ممن ذكر إبراهيم و إسماعيل و الحنيفية . قد حرم الخمر و تجنب عبادة الأوثان و صام و التمس الدين طمعاً في النبوة .

و من شعره

الحمد لله ممسانا و مصبحنا بالخير صبحنا ربي و مسانا

إلى أن قال

يا رب لا تجعلني كافرا أبدا و أجعل سريرة قلبي الدهر إيمانا
إني أعوذ بمن حج الحجيج له و الرافعين لدين الله أركانا
مسلمين إليه عند حجهم لم يبغوا بثواب الله أيمانا

و نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عنه : آمن بشعره و كفر بقلبه (بلوغ الأرب . ج ٢ ص ٢٥٤) ، و في رواية أخرى آمن لسانه و كفر قلبه .

خالد بن سنان بن غيث العبسي

كان مقراً بتوحيد الربوبية و الألوهية ناهجاً منهج الحنيفية . ذهب كثير من الناس على أنه نبي . و في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : ذلك نبي ضيعه قومه . فقد قال لقومه عند وفاته [إذ أنا مت فادفنوني في حقف من هذه الأحقاف ، و احرسوا قبري أياما ، فإذا رأيتم حمارا أشهب أبتر يدور حول الحقف الذي فيه قبري ، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني أقوم و أخرج أخبركم بجميع ما هو كائن و بما أمرت] فعندما مات و حدث ما تكلم به أرادوا أن يخرجوه فكره ذلك بعضهم و قالوا : نخاف أن تتحدث عنا العرب بأننا نبشنا موتانا . [مروج الذهب . ج ٢ ص٢٢٨] .

و يحكى الحسن بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن عبد الله المروزي قال : حدثنا أسد بن سعيد بن كثير بن عفير عن أبيه عن جده كثير عن جد أبيه عفير عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن بعض الناس آتت خالد لتشتكي له طير العنقاء و ما كانت تفعله بالصبيان ، فقد كانت تلك الطيور تأكل الأطفال و البهائم . فدعا عليها خالد أن يقطع نسلها فقطع الله نسلها فبقيت صورتها تحكى في البسط . [مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٢٧] .

و يحكى أن نار ظهرت في شق من جبل من حرة يقال لها حرة أشجع . و كادت العرب أن تتمجس و تصير مجوسية . فأخذ خالد عصاه و دخل داخلها و أطفأها .

و قد أتت أبنته ذات مرة إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فسمعته يقول سورة الإخلاص { قل هو الله أحد . الله الصمد } فقالت كان أبي يقول هذا .

[أسد الغابة ج ٢ ص ٩٩ . مروج الذهب ج ١ ص ٧٩ . بلوغ الإرب ج ٢ص٢٧٩] .

و قال أبن عباس : وردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبي (ص) فتلقاها بخير و أكرمها و بسط لها ثوبه .

و قال لها : " مرحبا بابنة نبي قد ضيعه أهله " ، و من غير المعروف أي شيء عن خالد و لا عن نبوته التي أضاعها قومه أكثر من ذلك . حيث أن كتب السيرة و التراث الإسلامي قد سكتت عنه ولم تخبر عن أعماله بشيء . و كما أضاعه قومه و أضاعوا نبوته هكذا أضاع أهل التاريخ كل ما يتعلق بسيرته .

قال شاعر بني عبس :

بني خالد لو أنكم إذ حضرتم نبشتم عن الميت المغيب في القبر

لأبقى عليكم آل عبس ذخيرة من العلم لا تبلى على سالف الدهر

[مروج الذهب . ج ٢ ص ٢٢٨]

ورقة بن نوفل :

هو أبن عم خديجة زوجة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، و كان قد قرأ كتب اليهود و النصارى و تعلم علمهم ، و هو الذي أخبر خديجة بنبوة الرسول . و قد مات ورقة بعد بعثة محمد ، و قد أختلف المؤرخون في ما إذا كان ورقة أسلم قبل وفاته أم لا ، و هل كان نصرانيا أم من الموحدين أم الحنفاء وغاية ماذكر عنه أنه قال لمحمد :أن هذا الذي يأتيك هو الناموس الذي أتى موسى من قبل وإني إن أدركتك لآمنت بك .

الباب الثاني

الفصل الأول

الخلفية الدينية

إنه يوقد في خشوع مصباح العقل
ويقدم تمجيده لا إلي الكتب
ولكن لكل شيء طيب في الإنسان
من قصائد (طاغور)

مدخل

و الآن سوف نتكلم عن العبادات و الديانات التي كانت موجودة بالجزيرة العربية . فهناك الكثير من الأديان منها ما هو سماوي مثل (اليهودية و المسيحية) ومنها ما دون ذلك .

و سوف نناقش الأسباب التي ساعدت على انتشار تلك الديانات والتي لعبت دورا مهماً في تشكيل المجتمع القبلي . و سوف نناقش تلك الأسباب السياسية و الاقتصادية و الجغرافية أيضاً.

وفي نهاية المطاف يمكننا أن نقول أن هناك الكثير من الأسباب التي تفيد بأنه كانت هناك حركات و أديان مختلفة من موحدين و أحناف و مسيحيين و يهود و عبد أصنام . و لهذا فمن الخطأ أن نقول أن الجزيرة العربية كانت بلا دين ولا ثقافة وأنهم كانوا لا يعلمون شيء عن الله أي كانوا لا يعرفون الله .

و لهذا فقد تعددت الأديان في شبه الجزيرة العربية ، و انقسمت العقول بين موحدين و مشركين و عبدة أصنام و مسيحيين و يهود و عبدة الشمس و القمر والنجوم ، فكان لتلك العبادات أثرها الواضح و الخطير على إعداد و تمهيد العقلية العربية لاستقبال الإسلام. و لهذا فقد قررنا أن نبحث في تلك الأديان و العبادات لنتعرف عليها .

و مع إبحارنا في تلك الأديان التي كانت موجودة بالجزيرة العربية و بالدخول إلى أعماق تشريعاتها و بالأخص الديانتان السماويتان (اليهودية و المسيحية) ، سوف نرى ما قد ورثه الإسلام منها ، و كيف كانت تلك الأديان و الفرق لها تأثيرها الغير عادي على الإسلام ، و ذلك من خلال التشريعات و طرق تطبيقها و حتى كيفية العبادة ، و كان من المهم أن نكشف عن تلك الفرق و الديانات ، لنتحرى بالفعل عن تلك المقولات الموروثة لنا و التي رسخت في أفكارنا و عقولنا ، أفكار غير صحيحة عن الجزيرة العربية و عن أن العرب قبل الإسلام كانوا لا يعرفون الله ، و لا يعرفون أي قيم أو خلق إنسانية ، و لا يعرفون سوى المتعة بملذات الحياة مثل شرب الخمور و لعب الميسر و النساء و جمع الأموال و الموالي و العبيد . و بالتأكيد سوف تتغير مفاهيمنا و وجهات نظرنا و سوف نصححها إذا قرأنا و بحثنا سوياً في تلك الأديان و الفرق الموجودة بالجزيرة العربية و عن معتقداتها ، و عن عقائدها .

و سوف نكتشف أن معظم هذه الشرائع اتفقت مع ما جاء به الإسلام . بل و نادى الإسلام بها فيما بعد .

و لنبدأ الآن بأول هذه الأديان التي كانت موجودة بالجزيرة العربية قبل الإسلام ونتعرف على مدى تأثيرها على الإسلام و على قوانينه و تشريعاته و هي الديانة اليهودية .

الديانة اليهودية :

هم أكثر من قاوموا النبي في بداية دعوته ، وهم كما قال عنهم ابن الأثير أحذق الناس بالنبوة ، و هم أفضل من فضلوا على العالمين و قد جاءوا لشبه الجزيرة قبل الإسلام بعدة قرون .

ويرجع أسباب دخول اليهود الجزيرة العربية :

١ ـ الاضطهاد الروماني لليهود بأورشليم مما أدى لتشتيتهم .

٢ ـ احتلال تيتس للدولة اليهودية و بلاد الشام مما أدى إلى نزوح اليهود عن مناطق القلق والتوتر إلى الجزيرة العربية واستقروا فيها وبالتحديد في المدينة .

٣ ـ خراب أورشليم و تهدم الهيكل سنة ٧٠م ،وعلى إثر ذلك قامت جموع من اليهود بالهجرة إلى شبه الجزيرة العربية . و قد استوطنوا بقاع الحجاز و يثرب و فدك و خيبر و تيماء ، كما نزل بعضهم اليمن و تمكنوا من تهويد جماعة من اليمنيين . [تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٣٩٢] ، إن ما يجمع عليه المؤرخين هو أسبقية اليهود في استيطان يثرب (د/ جواد على المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص٥١٩) .

أشهر البقاع اليهودية بالجزيرة العربية :

(١) اليمـــن :-

لقد عمل اليهود على نشر ديانتهم جنوبي الجزيرة حتى تهود كثير من قبائل اليمن ، و كان ذلك عن طريق اتصال ملوك حمير بيهود المدينة . و من أشهر

هؤلاء المتهودون (ذو نواس) الذي أشتهر بتحمسه لليهودية و اضطهاده لنصارى نجران [فجر الإسلام . أحمد أمين ص ٤١] .

(٣) بلاد الحجاز : -

أنتشر اليهود و استقروا في يثرب في عدة مناطق منها ، خيبر ، و فدك ، و تيماء ووادي القرى .

و من أشهر القبائل اليهودية التي سكنت الجزيرة العربية : بني قريظة و بني النضير و بني قينقاع و كانوا يقطنون يثرب ، و بني زعورا و بني هدل و بني قمعة و بني زيد اللات و هم رهط عبد الله بن سلام الذي أسلم . و كانت تلك القبائل لها أكبر الأثر في نشر تعاليم اليهودية في القبائل العربية التي جاورتها و التي كانت على الوثنية و التعددية الإلهية و خاصة الأوس و الخزرج . (قريش من القبلية إلي الدولة المركزية . ص ١٤٩) .

تشريعات اليهود و عقائدهم :

أشهرها هي الوصايا العشر الموجودة في (التثنية ٥ : ٧ ـ ٢١) [لا يكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ، لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً ...أكرم أباك و أمك ... و لا تقتل ولا تزن و لا تسرق و لا تشهد على قريبك شهادة زور ... لا تشته بيت قريبك ..] ، أيضاً شريعة التوحيد التي تؤمن بها (تثنية ٦ :٤) { أسمع يا إسرائيل الرب إلهك رب واحد } . بالإضافة إلى شريعة الحرب

(تثنية ٢٠ : ١ ـ ١٤) { حين تقترب من مدينة لتحاربها أستدعها للصلح . فإن أجابتك إلى الصلح و فتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون للتسخير و يستعبد لك ، و إن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، و إذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فأضرب جميع ذكورها بحد السيف ، و أما النساء و الأطفال و البهائم و كل ما في المدينة و كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك } . و قد شاهدنا من قبل كيف تأثر التشريع الإسلامي جملة و تفصيلاً بالتشريع التوراتي الذي كان قائماً و معروفاً في شبه الجزيرة قبل الإسلام بعدة قرون .

تأثير اليهود على العرب :

كان لإذاعة عقيدة التوحيد وهي الإيمان بوجود إله واحد ونبذ التعددية الإلهية المتمثلة في عبادة الأصنام أثر كبير على اعتناق الحنفاء أكثر من غيرهم للفكر اليهودي. و لهذا نرى أن عقيدة التوحيد كانت معروفة لدى عدد من قبائل جزيرة العرب قبيل ظهور الإسلام . و كانت متفشية بينهم بسبب اتصالهم باليهود الذين عملوا على ترسيخ فكرة النبوة بين العرب وإشاعة مقولة قرب ظهور نبي يخلص الناس مما يعانونه من اضطهاد ومشاكل ،وأن هذا النبي سوف يجلب السلام والخير وهي نفس عقيدة المسيانية المستقرة في الديانة اليهودية .

كذلك نجاح اليهود في التأثير على الخطاب الديني لدى العرب مما أدى إلى تغيير بنيته تغيراً نوعياً .

ودخلت في عقليتهم مصطلحات ومفاهيم لم تكن موجودة عندهم من قبل مثل [البعث والحساب والقيامة والميزان والجحيم وإبليس . ويذكر البعض أنه عن طريق اليهودية تسربت إلى العرب جميعهم ما جاء فيها من خلق الدنيا و من الحساب بعد الموت ...الخ . و كان تأثير ذلك واضح على الشعراء أمثال أمية بن أبي الصلت الذي قال عنه محمد آمن شعره و كفر قلبه . بالإضافة للحنفاء .ويروي لنا التاريخ بأن ورقة بن نوفل أبن عم السيدة خديجة أولى زوجات محمد بأنه كان يقرأ العبرانية و في رواية أخرى بلسان عبراني و هذا ثابت في أغلب كتب السيرة النبوية . وهو من أكابر الحنيفية وهو كان ينقل أجزاء من التوراة إلى اللغة العربية . و كونه أبن عم زوجة محمد فهو على علاقة حميمة به .

من المعروف أن اليهودية شريعة متكاملة فهي لم تقتصر على العبادة أو الأخلاق فقط. بل تناولت الحياة بكل أقطارها ومن بينها العقوبات الجزائية . و الحدود التي توقع على من يرتكب فعلاً نهت عنه التوراة مثل الزنا أو السرقة .
و هذه التأثيرات كان لها فاعليات بالغة الخطورة في المساهمة في قيام دولة قريش في يثرب على يد محمد . و خاصة أن المفسرين للتوراة قد نشروا تلك التفاسير و قد أحاطوها بكم من الأساطير و الخرافات كالتي أدخلها بعض من

أسلم من اليهود مثل كعب الأحبار و وهب بن منبه و أضرابهما . (فجر الإسلام . أحمد أمين ص ٤٢)

النصرانية

كانت الجزيرة العربية قبل الإسلام محاطة بسوار من االدويلات المسيحية . وكانت هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار المسيحية بشبه الجزيرة العربية و هي عوامل جغرافية و تاريخية و سياسية و اقتصادية

فمن الناحية الجغرافية : كانت الأقطار التي تحيط بالجزيرة آنذاك تدين بالمسيحية . سوريا والعراق في الشمال الشرقي واليمن في الجنوب والحبشة في الغرب . فمن هؤلاء القبائل تنوخ وحمير و قبيلة تغلب التي كانت منتشرة في الجزيرة و ضواحيها ، و كانت من أعز القبائل حتى قيل (لو أبطأ الإسلام لأكلت بنو تغلب الناس) ، و غسان و بحراء سليح ، و بالقرب منها شرقاً اللخمانيون ، و في الجنوب كان لقبائل كلب و أياد و بكر و عجل و شيبان نسبة كبيرة من المسيحيين كما عند جيرانهم في الشرق والجنوب مثل بني طيء و تميم ، و في وسط الجزيرة بنو كندة ، و في الجنوب الأقصى و الشرق الأقصى من الجزيرة بنو الحارث و عبد القيس . (المسيحية و الحضارة العربية . جورج .ص ١٤٥) .

أما الأسباب السياسية فتمثلت في الاضطهاد الشديد من الرومان للمسيحيين في صدر المائة الثانية للميلاد ،مما دفع معظم المسيحيين إلى اللجوء لبلاد العرب طلباً للحرية و كان معظمهم من اليعاقبة .

و أيضاً غزو الحبشة لليمن مما أدى إلى انتشار المسيحية في قبائل تغلب و غسان و قضاعة في شمال اليمن و جنوبها .

و أشهر المدن التي دانت للمسيحية بجنوب الجزيرة هي نجران و قد كانت على مذهب اليعاقبة و هذا يعلل اتصالهم بالحبشة أكثر من الرومان . و استمرت النصرانية في نجران إلى عهد عمر فأجلاهم عنها و ذهب أكثرهم للعراق . (فجر الإسلام . أحمد أمين . ص٤٤, ٤٥) .

أيضاً سعي الروم فيما بعد لبسط نفوذهم السياسي على تلك المنطقة ، عن طريق نشر دينهم على أيدي رجال الدين الذين يبشرون به .

أما من الناحية الاقتصادية فقد كان عرب الجزيرة و خاصة من يقطنون الأطراف الشمالية على اتصال بالغساسنة الذي كان أميرهم أمرؤ القيس و المناذرة و هاتان كانتا المسيحية متفشية فيهما .

و أيضاً كانت بلاد الحجاز تستقبل بانتظام القوافل القادمة من أطراف سوريا و ما بين النهرين ، و كانت تلك المنطقة ذاخرة بالأديرة و الكنائس ، فكانت القوافل تحمل معها من القصص و الموضوعات المسيحية الكثيرة .

و أيضاً فقد كان في الحيرة من الأثرياء الذين اشتركوا مع أثرياء قريش في الأعمال التجارية مثل كعب بن عبد التنوخي و كان أبوه أسقفاً على المدينة ، و كان يعمل بالتجارة في الجاهلية مع عمر بن الخطاب و خاصة في تجارة البز (الجلود) ، و كان عقيداً لها . (الإسلام من القبلية للدولة المركزية . ص ١٧٠) .

و كان لتنصير المناذرة أثر كبير في تنشيط حركة بناء الأديرة و الكنائس التي بدورها كانت تعلن النصرانية

ويرجع انتشار المسيحية في قبيلة أياد لإيمان قس بن ساعد وهو من الشعراء النصارى العرب . و من مشاهير العرب الذين قيل عنهم أنهم اعتنقوا المسيحية [ورقة بن نوفل ، عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر و بحيرة الراهب ، و أرباب بني رئاب من عبد القيس و عدي بن زيد العبادي](تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص٤٨٥] .

و من القبائل المسيحية المنتشرة بالجزيرة هي إياد و تميم و بكر ، و تغلب و بنو وائل بن ربيعة و هما من أقوى القبائل العربية ، و قد بلغ من قوتها أن قال عمرو الشيباني فيها : لو تأخر الإسلام لأكلت بنو تغلب الناس ، كما كان بشبه الجزيرة قلة من اليعاقبة و لكن كان لهم أسقفيتان واحدة في الحيرة و الأخرى في عقولا . كما أن معظم نصارى الحيرة كانوا نساطرة . [تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٣١١] .

و قد ورد لنا في سفر أعمال الرسل (أنه في يوم العنصرة كان يوجد في مدينة أورشليم عرب) (أعمال ٢ : ١١) و لا شك أن هؤلاء العرب كانوا إما يهود عرب أو

مهتدين جدد " خائفون الله " من جنس بشري ، و عندما ذهب القديس بولس إلى دمشق كانت المدينة في حوزة الحارث الذي عين بها نائباً عنه (كورونثس الثانية ١١ : ٣٢) ، و هو من جنس عربي ، و قد حكم الحارث منذ ٩ق.م حتى ٤٠م . و تلك الحادثتين المذكورتين بالإنجيل تؤكد على أن العرب وصلت لهم البشارة المسيحية (المسيحية و الحضارة العربية . الأب /جورج شحاته . ص ٥٧و٥٨) .

و من أشهر القبائل المسيحية التي كانت موجودة بالجزيرة العربية :

الغساسنة : و هم عرب سوريا ، و يرجع أصلهم إلى قبيلة جفنة و قوامهم عرب سوريا الذين قد هاجروا من اليمن . و هم مرتبطين بالإمبراطورية الرومانية منذ القرن الرابع . و قد لعبوا دوراً كبيراً كدولة حاجزة ضد القبائل العربية السالبة و ضد الفرس و من المشهور أن ملوك غسان ابتنوا عدة أديرة ، منها دير هند و دير حالي و دير أيوب (المسيحية و الحضارة العربية ص ٦٧ ، محمد . كارين أرمسترونج ص٨٧) .

اللخميون : كما كان للروم عملاء على الحدود ، كذلك كان للفرس ، فكان اللخميون المستقرون في عاصمتهم الحيرة و ما حولها كانوا يقومون بتأمين حدود فارس مع العرب . و قد كانوا أكثر تحضرا وعقلانية من عرب الجزيرة لمجاورتهم الفرس ، و كان البعض منها قد أعتنق المسيحية و تم تأسيس دير الحيرة ، و قد كان بها مبشرون بالنصرانية داعون لها و لبى الدعوة منهم هند زوج النعمان الخامس و الذي أنشأ دير سمى بدير هند و كان إلى عهد الطبري . (فجر الإسلام .

أحمد أمين ص ٣١) و لكن كانت تلك القبيلة من الذين يؤمنون بالطبيعة الواحدة . و كانت الحيرة لها نشاط تجاري واسع مما ساعد على نشر تعاليمهم وسط العرب . و قد ذكر كاتب كتاب الأغاني أن الشاعر الأعشى الذي كان قد طاف في جميع أنحاء جزيرة العرب قد أخذ أراءه الدينية عن العبادة من مسيحي الحيرة . (المسيحية و الحضارة العربية ص ٧٦ ، محمد . كارين أرمسترونج ص٨٨) .

مسيحيو مكة : في البداية يجب أن ننوه على مدى التأثر الديني التوحيدي في مكة بالتيارات اليهودية والمسيحية وانعكس ذلك على ما رسم على جدران الكعبة من صور ، الأنبياء و الملائكة الذين يذكر الكتاب قصصهم ، و بخاصة عيسى أبن مريم و أمه . فقد روي الأزرقي أنه :[جُعلت في دعائمها صور الأنبياء و صور الشجر و صور الملائكة . فكان فيها صورة إبراهيم خليل الرحمن شيخ يستقسم بالأزلام . و صورة عيسى أبن مريم و أمه . فلما كان يوم فتح مكة دخل محمد (ص) البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، فجاء بماء زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء ، و أمر بطمس تلك الصور فطمست .. و وضع كفيه على صورة المسيح بن مريم و أمه عليهما السلام ، و قال : أمحو جميع الصور إلا ما تحت يدي . فرفع يديه عن عيسى و أمه . و نظر إلى صورة إبراهيم فقال : قاتلهم الله ! جعلوه يستقسم بالأزلام ،] (المسيحية و الحضارة العربية .الأب د/ جورج شحاته ص٨٣) .

و كان المسيحيون في مكة لهم شكل أخر ، فكان معظمهم من الأحباش الذين جلبوا للعمل و الخدمة عند أسياد قريش ، هذا بالإضافة إلى وجود عدد كبير من

العبيد الذين كانوا يدينون بالمسيحية داخل الجزيرة ، و خاصة بمكة. وهناك أيضاً مسيحيون من الروم مثل صهيب الرومي الذي عمل عند عبد الله بن جدعان ثري مكة حتى أصبح تاجراً ثرياً . (البداية و النهاية.ج٣ ص١٧٣) . و قصة هروبه من مكة و افتدائه بماله يجعلنا نعرف كم الثراء الذي بلغه . و هذا جبر النصراني المذكور في تفسير القرطبي للآية رقم ١٠٣ من سورة النحل والتي تقول : "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر " فقالت قريش { و الله ما يعلم محمداً إلا جبراً النصراني } . و هناك العديد من الأسماء التي يذكرها المفسرون ، فقد قال عكرمة : أسمه يعيش عبد لبني الحضرمي ، و كان يقرأ الكتب ، و يورد القرطبي و السيوطي عدة أسماء لهذا العبد فقيل: بلعام و يسار و عداس و أبو فُكيهة وعابس . ثم يقول القرطبي : و الكل محتمل ، فإن النبي ربما جلس إليهم في أوقات مختلفة ليعلمهم مما علمه الله ، و كان ذلك بمكة و قال النحاس : هذه الأقوال ليست بمتناقضة ، لأنه يجوز أن يكونوا أومنوا إلى هؤلاء جميعاً ، و زعموا أنهم يعلمونه (تفسير القرطبي ج ١٠ ص ١١٧).

وجود أقباط مصريين بمكة : و من ناحية أخرى وبالإضافة إلى العبيد الأحباش الموجودين بمكة فقد كان من النادر كما يذكر المؤرخون إقامة مصري في مكة و إذا وجد فهي إستثناءات قليلة جداً . كما حدث مع النجار القبطي الذي ذكر (الأزرقي) عنه أنه شارك في بناء الكعبة حينما غمرها طوفان السيل ، فأخذت

قريش الأخشاب اللازمة للبناء من حطام سفينة رومانية كانت قد غرقت في ميناء الشعيبة قرب جدة . (هوامش الفتح العربي لمصر. ص ١٠) .

و أكد (الكندي) ذات الواقعة بقوله : إن البيت هدم في الجاهلية فولت قريش بناءه رجلاً من القبط يقال له " بقوم " فأدركه الإسلام وهو على ذلك البناء . (الكندي : فضائل مصر . ص ٢٨ . المرجع السابق ص ١٠) . و يجب أن نلاحظ العلاقة قديمة الأزل التي كانت بين التجار العرب و المصريين و يرجع ذلك لعام ٢٧٤٣ق.م.(قصة الحضارة عبر الإيمان ص ١١) .

و تعلق الكاتبة كارين أرمسترونج في كتاب (محمد ص ٨٨) على حصار بلاد الجزيرة العربية بدويلات مسيحية بأن هذه المسيحية محرفة ،و خاصة و أن كل الدويلات المحيطة بها كانت تدين بتلك التحريفات . فتقول : [أنه مع مطلع القرن السابع كانت صورة المسيحية المحرفة تحاصر أعراب الجزيرة العربية في الوسط ، و كانت الكنيسة المسيحية في نجران تبهر عيون البدو ، و إن كانوا ما يزالون على ريبتهم بتلك النظم الدينية] .

الأبيونيـــة :

وهي فرقة من اليهود المتنصرين وتعني تلك الكلمة باللغة العبرية الفقراء إلى الله وهم ناصريون نسبة للناصرة مسقط رأس المسيح وهم نصارى موحدين ، و أما عن عقيدتهم فهي مزيج من اليهودية مع المسيحية ، فهم يعتقدون بالإله الواحد الخالق للكون ، و يعظمون السبت ، و يرفضون الرأي القائل بألوهية المسيح ، لذلك أمنوا بالمسيح كإنسان إمتاز عن غيره بالنبوة لذلك فهو رسول بمعنى(المهدي المنتظر) وليس إلاهاً ولا هو أبن لله و لا هو ثالث ثلاثة وأنه مخلوق وبشر ، وهو مثل باقي الأنبياء أرسله الله للناس و قد خلت من قبله الرسل (دائرة المعارف الكتابية للكتاب المقدس ج١ص٥٥) ، والله قد خلقه في بطن أمه مريم البتول دون أن يلامسها بشر ، و ذهبوا إلى أن الذي صلب هو شخص آخر غير المسيح و قد أخذ شبهه واحد من التلاميذ ، و لذلك أعتقد الناس أنه هو المسيح و أخذوه و صلبوه . وهذه الفرقة تعرضت للاضطهاد الشديد من قبل شاول الطرسوسي الذي يدعى بولس وفرت بدينها إلى وسط الجزيرة وغربها [مكة - نجران - دومة الجندل - وادي القرى] وكان من الطبيعي أن تلك الفرقة تكف عن ذكر اسم مضطهد هم وعدوهم اللدود وأن يصفوا تابعيه بالكفر وكان الأبيونيين لا يعترفون إلا بإنجيل واحد وهو(إنجيل الأبيونيين) وماعداه فهو محرف .(تاريخ الفكر المسيحي جـ١ صـ٤٠٦ . القس عوض سمعان) .

الغنوسيـــة :

الغنوسية هي كلمة يونانية وتعني المعرفة أو العلوم الخاصة بالأمور الروحية أو الإلهية ، وهي مزيج من الفلسفات والديانات المسيحية واليهودية و الفارسية و الأفلاطونية . ونادى الغنوسيين بوجود إله للخير وإله للشر ، و أن المادة شر وإله الخير بعيد عن المادة التي هي شر . ولهذا فالمسيح لم يأخذ جسداً بشرياً . فالعذراء ظلت عذراء حتى بعد الولادة لأن مرور المسيح من رحمها كان كاختراق النور للمواد الشفافة . (تاريخ الفكر المسيحي . القس . حنا الخضري . دائرة المعرف الكتابية للكتاب المقدس) .

النسطـــرة

كان نسطور راهباً أنطاكياً نصب في سنة ٤٢٨م بطريركاً على القسطنطينية . نادى نسطور بوجود طبيعتان (شخصان) في شخص المسيح يسوع (إلهي و إنساني) وهاتان الطبيعتان متميزتان الواحدة عن الأخرى في الجنين تكونت الطبيعة البشرية التي كانت تحمل الكلمة المتجسدة فعندما نتكلم عن الميلاد أو الآلام أو الموت أو التعب أو خلافه فإننا نعني الطبيعة الجسدية ، أما اللاهوت فسكن فيه كما في هيكل و لازمه إلى حين صلبه ، و تظهر الطبيعة اللاهوتية في المعجزات والقيامة والذي في حضن الأب . فهنا طبيعة لابسة وأخرى ملبوسة ، و قد طرد بعد

مجمع أفسس عام ٤٣١م هو و أتباعه من الكنيسة . (تاريخ الكنيسة القبطية . تاريخ الفكر المسيحي . المسيحية و الحضارة العربية) .

الأريوسيـــة :

مؤسس هذه الهرطقة هو أريوس وهو ليبي الجنسية و لا يعرف شئ عن عائلته سوى أنه ولد بالقيروان عام ٢٧٠م ، و لا يعرف هل هو من عائلة مسيحية أم وثنية . درس اللاهوت في مدرسة إنطاكية على يد المعلم (لوقيانوس) ، و البعض يقول أنه درس اللاهوت بالإسكندرية . و قد عاش في مصر و حاول نشر تعاليمه المنحرفة بكنيسة مصر . و لقد تأثر أريوس مباشرةً بمعلم يدعى [لوسيان] و يظن البعض أنه الأب الروحي لأريوس ، الذي كان ينادي بأن المسيح مع أنه كان له وجود سابق إلا أن وجوده لم يكن من قبل كل الأزل .

تعاليمه : هاجم أزلية الابن و انبثاق جوهره من الآب . و من تعاليمه

١) الله إله واحد أزلي غير مولود ، أما الابن فهو ليس أزلياً ، بالرغم من وجود الابن قبل خلق العالم ، و لكنه غير أزلي .

٢) هذا الابن خرج من عدم مثل باقي الخلائق ، بحسب قصد الله و مشيئته .

٣) إن المسيح الذي يعبده المسيحيون ليس إلهاً و لا يملك الصفات الإلهية [كلي العلم . القدرة . . .]

٤) معرفة المسيح هي معرفة محدودة و ليست مطلقة ، و لا يستطيع أن يعلن لنا الآب بطريقة كاملة . ٥) فالآب خلق الابن (الكلمة) لأجلنا ، و لذلك فهو مخلوق و متغير مثلنا ، و هو كان حر إن أراد يسير صالحاً كما خلقه الله أو أن يرتد إلى الشر مثل الشيطان . فالابن مخلوق ، متغير ، غير أزلي ، ليس كلي العلم ، قد كان حراً على أن الله قد قرر من قبل أن يسلك الابن في الصلاح . و لهذا فقد منحه الله مجداً إلهياً . و هذا المجد ما هو إلا هبه من الله . (تاريخ الكنيسة القبطية .ص ٢٠٨ـ تاريخ الفكر المسيحي) . و قد انتشرت الأديرة الخاصة بتعاليم الأريوسية و حركاتها التبشيرية في جزيرة العرب و خاصة بعد الاضطهاد الذي وقع عليهم من التتر و الأتراك . فنرى وصولهم للهند و الصين و بلاد التبت و تركستان ، و قد وجد في مدينة سنجيان بالصين نقش على الحجر يخصهم باللغتين السريانية و الصينية يرجع عهدها إلى سنة ٧٨١ م . و الآن يوجد بعض الكنائس الصغيرة للنسطورية بالعراق و سوريا و إيران و الولايات المتحدة . (المسيحية و الحضارة العربية . د/ جورج شحاته . ص ٤٢) .

المريميين :

بدأت هذه البدعة مع بداية ذلك القرن . و قد نادى المؤمنين بتلك الهرطقة بألوهية العذراء مريم عوضاً عن [الزهرة] أو [ملكة السماء] . و التي كانوا يعبدونها قبل انضمامهم للمسيحية ، لأنها كانت تعبد في الشرق و الغرب فهي فينوس الرومان ، و أفروديت اليونان ، و اشتار البابليين ، و عشتاروت الفينيقيين . و

قد انتقلت تلك العبادات قديماً للشعب اليهودي فعاقبهم الله بشدة على ذلك [أر ٧ : ١٨ ـ ٢٠ ، ٤٤ : ١٩] و قد أطلقوا على أنفسهم أسم (المريميين) ، و كان المريميين يطلقون على أنفسهم أسم [الكوليريديانيين] نسبة إلى أسم الفطير الذي كانوا يقدمونه للعذراء . و ذلك على مثال ما كانوا يفعلون فيما قبل لعبادة الزهرة . وقد كان الوثنيون قديماً يؤمنون بأن آلهتهم يتزوجون و تنجب نسائهم أولاد . و على ذلك آمن المريميين بأن الله قد تزوج العذراء مريم مثل الآلهة و أنجب منها الرب يسوع . و مع نهاية القرن السابع و بسبب مقاومة الكنيسة لتلك الهرطقة سواء بالحجج الكتابية أو المناقشات ، فتم القضاء نهائياً على تلك البدعة .
(تاريخ الفكر المسيحي . دائرة المعارف الكتابية للكتاب المقدس)

و قد حارب النبي تلك الجماعات المسيحية ، و شدد في محاربتها ، و قد قال النبي (ص) أخرجوا المشركين من جزيرة العرب (الطبقات الكبرى لأبن سعد ج ٢ ص ٢٤٢ ، الدفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره . ص ١٣٨) .

أثار المسيحية على الإسلام :

لقد كان القسس و الرهبان يردون أسواق العرب و يعظون و يبشرون و يذكرون البعث و القيامة و الحساب و الجنة و النار . و قد ورد كثير من النصوص القرآنية التي توافق أقوالهم . (فجر الإسلام . أحمد أمين ص ٤٦)

لقد تركت المسيحية أثاراً عميقة الغور في عرب شبه الجزيرة العربية على الأخص في الناحية العقائدية مثل ترسيخ عقيدة التوحيد التي وضعت بذرتها اليهودية ، و ترك التعددية الإلهية المتمثلة في عبادة الأوثان .

وترسيخ عقيدة النبوة ، التي تركت أثراً ذو بعد كبير و واسع ، و هذا يفسر لنا ظهور من يدعي النبوة قبل البعثة .

ولقد تركت المسيحية مفاهيم و كلمات بالغة الأهمية مثل النار و الجنة و البعث و آيات الله مثل ارتفاع السماء بلا عمد. و الأرض بلا وتد ، و قصة الذبح الإبراهيمي و الذبيحة الكفارية .

يجب أن نعلق هنا على تأثير تلك الديانتان السماويتان على العرب قبل مجيء محمد بدعوته ، فقد كان لها بصمة و تأثير فعال على الأذهان خاصة في المجال الديني ، مما كان له أكبر الأثر في التمهيد لقيام دولة قريش على يد محمد . إذ ساعدت عقيدة التوحيد التي قامت الديانتان بنشرها بين العرب على تفكيك عري الوثنية و التعددية الإلهية التي كانت مسيطرة وقتذاك و قد ساهمت في فضحها و الكشف عن زيفها و منافاتها للعقل ، و عندما جاء الإسلام و جد أن الطريق ممهد و محروث من تحت الأرض لتتلقى البذور التي كان لها صدى في تلك القبائل التي تفشت بها هاتان الديانتان و أكبر مثال على ذلك قبول و ترحيب قبيلتي الأوس و الخزرج للدعوة الإسلامية بمجرد السماع.

و يكمن أهمية عقيدة التوحيد في الدور الذي لعبته في توحيد القبائل ، لأن الإيمان بدين واحد و عقيدة واحدة ، يخالف عقيدة الاعتقاد بتعدد الآلهة لكل قبيلة ، و هذا معناه في نظر خليل عبد الكريم (الإسلام من القبلية للدولة المركزية ص ١٨٥) أن تلك العقيدة هي البوتقة التي سيصهر فيها القبائل و التقريب بينهما و إزالة مشاعر التفرد ، على العكس سوف تنبت مشاعر الوحدة و الحميمية حيث الهدف واحد و الإله واحد . و هذا كان من تأثير فعل عقيدة الديانتان المسيحية و اليهودية .

شيء أخر تركته عقيدة التوحيد و هو توحيد السلطة في يد واحدة ، بعد أن كانت في أيدي شيوخ القبائل مما ساعد على تكوين دولة حيث التوحيد ينادي بإله واحد و حاكم واحد يحكم فيهم ، مثل موسى في اليهودية ، فجاء محمد صلى الله عليه وسلم و تقلد زمام الحكم من قبل الله كما موسى .

أيضاً ساهمت الديانتان على ترسيخ فكرة مسئولية الإنسان عن أفعاله ، من خلال الثواب و العقاب ليس في الحياة الآخرة فقط بل في الدنيا أيضاً و لهذا وجب وجود سلطة تتولى توقيع العقوبة على المخالف و الذي عرف فيما بعد بالحدود . و هذا أمر لم يكن معروف من قبل بين القبائل ، فأقصى ما كانت تعرفه هو الخلع من القبيلة ، و لكن بعد الاحتكاك خاصة بالشريعة الموسوية أقتبس الحنفاء و من بعدهم الإسلام الذي أقر بها و نادى بها أيضاً حدود الزنا و القتل و شرب الخمر

والسرقة . و كان استخدام تلك العقيدة و تلك المبادئ التي كانت ركائز أساسية أكبر الأثر في وضع المقومات لإنجاح دولة قريش .

و من بيان آثار الديانتين الساميتين على عرب الجزيرة العربية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم و إظهار مدى ذلك التأثير ، هو شيوع أسماء الأنبياء الذين ورد ذكرهم بالعهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الأناجيل) . و على سبيل المثال : أدم بن ربيعة بن الحارث ، إبراهيم بن الحارث بن خالد التميمي القرشي ، إسحاق الغنوى و هو من الصحابة ، و أبو أيوب الأنصاري و هو الذي نزل عنده محمد عند قدومه المدينة . و من أسماء السيدات : آسيا بنت الفرج الجرهمية ، مارية مولاة حجري بن أبي إهاب التميمي و هي التي حبس في بيتها الصحابي خبيب بن عدى ، حواء بنت زيد بن السكن ، و حواء بنت بجيد الأنصارية ، حمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش زوجة مجمد ، مريم بنت إياس الأنصارية ، و أم عيسى بنت الجزار و أم يحي امرأة أسيد بن حضير أحد زعماء الأنصار . و كلهن صحابيات (أسد الغابة في معرفة أحوال الصحابة . باب النساء) .

الموحدون أو الأحناف

لم يحظ التاريخ العربي كله بجماعة من الغامضين مثل ما كان من شأن الحنفاء ، فتضاربت الأخبار عنهم و عن شأن كينونة بعض هؤلاء النفر من العرب . فلم يتفق رواة التاريخ في أمر من أمور الموحدين أو الحنفاء العرب . فتارة يضعون ورقة بن

نوفل و قس بن ساعدة و أمية بن أبي الصلت و زيد بن عمرو في عداد الحنفاء الذين هجروا الأصنام، و أتبعوا دين إبراهيم و تارة أخرى يذكرون أنهم ممن تنصروا من العرب . و الواضح من تعاليمهم كم التأثر الشديد بالمسيحية و اليهودية . لذلك فنحن لا نعرف على وجه الدقة إذا ما كانوا من الموحدين أم الحنفاء أم النصارى . و الأرجح أنهم تأثروا باليهودية و النصرانية ، و لكن أشهر ما علق على زيد أنه تحنف قبل الإسلام و كان لا يذبح للأوثان و لا يشرب خمر و لا يأكل خنزير . و كان يتفقر القفار و لا تكنه دار و يأنس بالوحوش و قد نظر الكتب و قرأها و لبس المسوح تعبداً. و يذكر أن عدى بن زيد نصح النعمان ملك الحيرة حتى حبب إليه النصرانية ، ثم وضع تاجه و خلع أطماره و لبس مسوحه فلزما عبادة الله في الجبال حتى مات النعمان . (فجر الإسلام . أحمد أمين ص٤٦) .

و الآن لنلقي نظرة على تعاليمهم و من هم :

هم جماعة من العقلاء العرب سَمت نفوسهم عن عبادة الأوثان ولم يجنحوا إلى اليهودية أو النصرانية ، وإنما قالوا بوحدانية الله وكانوا ينادون بالأتي : إن الدين عند الله الحنيفية ملة إبراهيم ، وكانوا يعرفون أن الإيمان بالإله الواحد أهدى وأحكم من الإيمان بالنصب والأوثان . (قصة الحضارة عصر الإيمان ص ٢٤- دراسات في تاريخ العرب ، العرب قبل الإسلام ص٤٣٨) وكان من روادها عبد المطلب جد الرسول ، والرائد الثاني هو زيد بن عمر بن نفيل ، والرائد الثالث هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت .

. اعتزلوا الناس في كهوف للتأمل و العبادة و الصلاة ، نادوا بتحريم شرب الخمر و أكل لحم الخنزير و الميتة و الدم . و من أشهرهم عبد المطلب و زيد بن عمر بن نفيل و أمية بن أبي الصلت . نادوا أيضاً بعدم الذبح للأوثان .

. نادوا بيوم الحساب و بمجازاة الأعمال الجيدة و بحساب الأعمال السيئة .

. نادوا بتحريم نكاح المحارم ، و ألا يطوف بالكعبة عريان ، و إطعام الفقير .

. كانوا يلبسون المسوح .

. و كانوا يطوفون بالبيت و يحجون ، و يعتمرون و يقفون بعرفة و يهللون ، و يهدون ببقرة أو ناقة . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ١٩٧] .

لقد مهدت الحنيفية الطريق و كل السبل للإسلام ، فنبذها لعبادة الأوثان و الاتجاه للتوحيد كان بمثابة النقلة لاستقبال الدين الجديد . [تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٤٩٠] .

عبدة الأصنام

هم الذين آمنوا بالخالق ، و هم يؤمنون بالله الواحد ، و لكن أنكروا الرسل . و لا يؤمنون بالبعث و لكن بتناسخ الأرواح ، و قد كانوا يعبدون الأصنام لاختلاف أسبابها و منها :

كانوا يتقربوا لله عن طريق الأصنام مثل هبل ، و يعتبر عمرو بن ربيعة ولحي بن الحارثة أول من نصب الأوثان و عبدها من العرب ، و ذلك بعد مرضه و ذهابه للشام و شفائه هناك عن طريق استحمامه في عين مياه ساخنة ، فرأى أهل الشام

يعبدون الأصنام و من هنا أخذها معه إلى مكة و نصبها حول الكعبة [بلوغ الأرب ج٢ ص ٢٠١].

و يعتبر هبل هو أول صنم وضع في الكعبة ، و اللات و العزى [المسعودي ج٢ص١٣٢] و كانوا يقولون كما قال القرآن {وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } (الزمر ٣)

(١) منهم من قال كما قال أبن كثير : يقول في تفسير تلك الآية أنهم اتخذوا تلك الأصنام على صورة الملائكة المقربين ليشفعوا لهم عند الله . (أبن كثير . سورة الزمر . أية ٣ ج ٤ ، بلوغ الأرب ج ٢ ص ٢٠٥).

(٢) كما أن العرب يعتقدون في شفاعة [اللات و العزى و مناة] بسبب أنهم يظنون أن هؤلاء هم بنات الله ! وعندما كانت قريش تطوف بالكعبة كانت تقول [أفر أيتم اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى فأنهن الغرانيق العلى و إن شفاعتهن لترتجى] [تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٤٧٣] ، و هنا نذكر أن النبي صلي الله عليه و سلم عندما جاء ليتلو عليهم سورة النجم و عند وصوله لتلك الكلمات قالها ثم سجد فسجدت قريش ورائه ، لأنهم اعتقدوا أنه قد آمن بها و بشفاعتها [تفسير الجلالين] ، و لكن جاءه بعد ذلك جبريل و قال بأن الشيطان ألقى بشيء في أمنية الأنبياء فينسخ الله ما يلقي الشيطان به ثم يحكم الله آياته .

و لهذا فكان لكل قبيلة صنما تتقرب به لله . فللاوس و الخزرج مناة , و لغطفان العزى , و لثقيف اللات

(٣) منهم من أعتبر الأصنام قبلة لهم كما أن الكعبة هي قبلة البعض .[بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ١٩٧] .

الزرادشتيـة :-

انحصرت تلك الديانة في بلاد فارس تقريباً ، و قد نشأت في أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني ، و قد نددت بالديانات السابقة و التي كانت موجودة بالبلاد ، و نادت بأن ليس في العالم إلا إله واحد هو أهور رامزدا . إله النور و السماء ، و أن غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له و صفات من صفاته ومؤسسها هو زرا دشت .

و قيل أنه عند ولادته سمع قهقهة عالية ، فانهزمت من حوله الأرواح الشريرة و الشياطين المنتشرة في الحياة . لقد استحوذت فكرة الخير و الشر على فكر زارا ، فأعتزل الناس ناسكاً زاهداً .

و حدث بينما هو واقف على الجبل يفكر أن أحس بنشوة روحانية . تجلى فيها كبير الملائكة (فاهومانا) و أصطحبه في رحلة سماوية ، مثل فيها أمام رب السماء نفسه ، و تلقى منه كلمات الحق و الحقيقة ، و تعلم أسرار الوحي ، و أمر بالنبوة ، و نزل بعد ذلك من الجبل ليصدع بأمر ربه .

تعاليم زاردشت : أنكر تعدد الآلهة وعبادة الأصنام ، جعل الخير المحض من صفات الله ، و بشر بالثواب وأنذر بالعقاب ، وقال أن خلق الروح سابق عن الجسد ، و كان دينه هو عبادة الله و الكفر بالشيطان ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

و اجتناب الخبائث ، و قال أن الله هو خالق النور و الظلمة و هو واحد لا شريك له .

و يقول الباحثون أن دين زارا دشت هو دين توحيدي و يحرم الشرك بالله ، و هو واحد و أسمه (أهورامزدا) الذي ليس كمثله شيء ، و هو الواحد الأحد القدوس الصمد و هو الحق ، و النور و هو الحكيم القادر ، و الخالق الذي لا يشاركه أحد ، و قد نادى برفض فكرة أن للشر إله بل الشيطان هو الذي جلب الشر ، و من أهم تعاليم الدين الزرادشتي هو الاعتقاد بالحياة الأخروية التي تبدأ بعد الموت الجسدي ، فالذين يعملون الحسنات يدخلون عالم السعادة ، والذين دنسوا نفوسهم بالشرور يدخلون عالم الشقاء .

و قد نادى أن للناس حرية الاختيار ، و الكفاح في سبيل الخير أو الخضوع لمغريات الشر .

و نتيجة قرب تعاليم زرا دشت من تعاليم الإسلام نجد " تويني " يقول : أن عقيدته (زرا دشت) عقيدة توحيد في جوهرها ، فقد كان عمر (ض) يعامل أتباعها كمعاملة الذميين من اليهود و النصارى .

و قد روى عن أمير المؤمنين علي (ض) قال : إني أعلم ما عليه المجوس ، عندهم شريعة يعملون بها ، و كتاب يؤمنون به ، فعاملهم معاملة أهل الكتاب .

(موسوعة الأديان القديمة . معتقدات أسيوية . د/ كامل سعفان ص ١٠٢ _ ١٠٩) .

فقد كانت الدرادشتية تحتوي على أفكار ترفض تعدد الآلهة و تنبذ عبادة الأصنام و تنادي بالثواب و العقاب بعد البعث . و كثير من التعاليم التي نادى بها الإسلام مما دفع علي و عمر إلي احترامهم و مساواتهم بأهل الكتاب .

الصابئة

ينقسم الصابئة إلى قسمان صابئة حنفاء و صابئة مشركين ، و المشركين منهم كانوا يعظمون الكواكب السبعة ، و يعتقدون في النجم ، و لا يتحركون من غير إرشاد النجم ، و هم من الأمم الكبار كما ذكر لنا الألوسي ، و أكثر هذه الأمة فلاسفة و من أشهرهم هلال بن المحسن الصابئ صاحب الديوان الإنشائي و صاحب الرسائل المشهورة . و كان هؤلاء يأخذون محاسن ديانات العالم و مذاهبهم ، و هم كما ذكرنا ينقسمون إلى مؤمنين و كفار ، وهناك شبه إجماع من الباحثين العرب المسلمين على أن معنى صبأ أي خرج على مُثل المجتمع و تقاليده أي تحول من حال إلى حال (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي تفسيره للأية ٦٢من سورة البقرة) . أما الدارسين الغربيين فهم يروا أن هذه الكلمة تعني تغطيس أو تعميد وتلك كانت عادة مصرية قديمة ، فالطفل المولود عندما يتم أسبوع كان يعمد في نهر النيل ، و كانت لهم عدة هياكل كما ذكرنا و كان لهم عبارات و دعوات خاصة كانوا يصورونها في الهياكل ، و يتخذون لها أصناماً تخصها و يقربون لها القرابين . و كانت لهم صلوات تقام في الليل و النهار ، و كانت لها نفس

الطقوس المتبعة في الإسلام . (الملل و النحل ج٢ ص ٥٦و ما بعدها . فصل مزاعم الحرانية ، بلوغ الأرب ج٢ ص ٢٢٣ و ما بعدها) .

و يقول البغدادي عنهم أن منهم صابئ مؤمن ناج ، و أخر صابئ كافر و هم المجوس المشركين .

[بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ٢٢٤] .

تعاليم الصابئين

١. يصلون خمس مرات كأوقات الصلاة الآن ، و منهم من يصلي ثلاث مرات و كانوا في صلواتهم يستقبلون الكعبة ، وكان مسلكهم هو التضرع و الابتهال بالدعوات .

٢. كانوا يصومون شهر رمضان ، و يغتسلون من الجنابة ، و يغتسلوا أيضاً من لمس الميت ، وبالنسبة للطهارة عند الاتصال الجنسي فكانت بالوضوء .

٣. كانوا يحرمون شرب المسكر ، و لحوم الخنزير و الدم و الميتة و أكل الكلب و كل ما له مخلب من الطير (الملل و النحل ج١ فصل عبادة الصابئون و هياكلهم) .

٤. يحرمون من النكاح ما يحرمه المسلمون من القرابات .

٥. يؤمنون بالوساطة والتقرب لله عن طريق الروحانيون المقدسون وهم في الإسلام الملائكة . ثم تحولت بعد ذلك عقيدة الوساطة للشفاعة

[من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه] (البقرة ٢٥٥) ، و لهذا رفضوا واسطة الرسل لأنهم يستمدوا قوتهم من نفس المنبع الذي يستمدون منه و هو الشفعاء .

٦. كانوا يأمرون بالإختتان . (الملل و النحل ج١ فصل عبادة الصابئون و هياكلهم) .

٧. وكانوا يتزوجون بشهود و لا يجمعون بين زوجتين ، و هؤلاء كانوا يدخلون في زمرة أهل الكتاب وتم ذكرهم في ثلاث مرات في القرآن و هي : [البقرة ٦٢] { إن الذين أمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله و اليوم الآخر و عمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنزن } ، (المائدة ٦٩) { إن الذين أمنوا و الذين هادوا و الصابئون و النصارى من آمن بالله و اليوم الأخر و عمل صالحاً فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون } ، (الحج ١٧) { إن الذين أمنوا و الذين هادوا و الصابئين و النصارى و المجوس و الذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد } .

أما الصابؤن الحرانيون نسبة إلى حاران وهم وثنيون ومن تعاليمهم : الصلاة ثلاث مرات وصلاتهم ركعات وسجدات وفي صلواتهم فروض ونوافل و لا صلاة لهم إلا على طهارة . ومن الفروض عليهم الصيام ثلاثون يوم ، ولهم أعياد منها عيد فطر الشهر وعيد الميلاد وعيد فطر السبعة وهي في ثلاثة وعشرون من كانون (الفهرست لأبن النديم) ، للإطلاع أكثر على تعاليمهم أنظر (قريش من القبلية للدولة المركزية من ص ٢٠٥ إلى ص٢٢٢) وقد ذهب الأمام أبو حنيفة إلى القول بأن الصابؤن يؤمنون

بكتاب ويقرون بنبي (أحكام الزواج والطلاق في الإسلام للشيخ بدران) والدليل على ذلك أن القرآن قرنهم باليهود والنصارى

٨ـ كانت من ضمن شرائعهم رجم الزاني المحصن (المتزوج) ، و قطع اليد اليمنى للسارق ، و القصاص من القاتل . (الملل و النحل ج١ فصل عبادة الصابئون و هياكلهم) .

تأثير العبادات البابلية الوثنية على الجزيرة العربية

أدخل البابليون للجزيرة العربية عبادة القمر و الشمس ، و لكنهم كانوا يفضلون عبادة القمر الذي يهديهم ، و هو دليل و رسول القوافل و لذلك لقب القمر [الحكيم و الصادق و العادل و المبارك و المعين و القدوس و الحامي] . و كل تلك الأسماء هي صفات لله في الإسلام ! ، و بسبب هذا التأثر بعبادة القمر نجد العرب يسيرون بحسب حركة القمر و بحسب شهوره و أيامه ، و عندما جاء الإسلام نهج على نهج هؤلاء . [تاريخ العرب في عصر الجاهلية . د / السيد عبد العزيز ص ٤٦٢ , ٤٦٣] .

و منهم من كان زنديق : أي لا يؤمن بالآخرة و لا بالربوبية و لا بالثواب و العقاب ، أو من كان يظهر الإيمان و يبطن الكفر . [بلوغ الأرب ج٢ ص ٢٢٨] .

عبدة الشمس و القمر و الكواكب

كان هؤلاء يعتبرون الشمس والقمر والكواكب من الملائكة لها نفس و عقل و هي اصل نور القمر و الكواكب . فهي تستحق السجود . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٢ ص ٢١٥] . و منهم من عبد القمر و عظموه فهو يدير العالم من تحته .

و من هنا أتخذ أصحاب الروحانيات و الكواكب أصناماً ، و زعموا أنها على صورتها فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب ، فجعل الصنم على شكله و هيئته و صورته ليكون نائباً عنه و قائماً مقامه ، و إلا فمن المعلوم أن عاقلا لا ينحت خشبه أو حجر بيده ثم يعتقد أنه إلهه و معبوده . و من المعروف وقتئذ أن الشيطان كان يدخل الصنم و يتكلم معهم و يخبرهم عن المغيبات و يدلهم على بعض الأمور ، فالبعض يقول شيطان و آخرين يقولون ملائكة [بلوغ الأرب ج٢ ص ٢١٧] .

الفصل الثاني

الكعبات في الجزيرة العربية و العالم القديم

إن كان الشيطان رجيماً
فلماذا نمنحه السلطة ؟
و إذا كان سُمُو إلهٍ
فلماذا يسمو لأسفل
احمد مطر (ديوان المسائل)

كان الوسط الإجتماعي العربي عبارة عن قبائل و جماعات متفرقة ، لا حكم فيها إلا للعرف القبلي ، و مع تعدد القبائل كثرت الشيوخ و أبطال الحرب . أولئك الذين تحولوا بعد موتهم إلى أسلاف مقدسين ، و أقام لهم أسلافهم التماثيل و المحاريب ليلتمسوا منهم العون و المساعدة في وقت الضيق . و من أجل هؤلاء الصالحين السالفين أقيمت بيوت العبادة و شرعت طرق التقرب إلى الأرباب (الرب هو سيد الأسرة أو القبيلة و هو بعلها) بتعدد الأرباب تعددت الكعبات و لكنها تتفق من حيث أنها عبارة عن بناء مكعب وهو المبنى المفضل لبيوت أرباب الجاهلية . (الإسلاميات . سيد القمني . ص ١٩) .

و تتفق كل كعبات الجزيرة أيضاً في أنها كانت تبنى تقديساً للأحجار الغريبة والنادرة كالأحجار البركانية أو النيزكية ، أو صاعقة من السماء و كل ذلك كان يغلب عليهم اللون الأسود نتيجة عوامل الاحتراق ، و يظن أن هذا التقديس راجع لغرابة شكل الحجر و من كونه قادماً من عالم غيبي مجهول ، فالحجر البركاني مقذوف ناري من باطن الأرض ، و ما صيغ حوله من أساطير احتسبته عالماً لأرواح السالفين المقدسين ، و كذلك الحجر النيزكي الذي كان أكثر جلالً لغرابة نزوله وما يحمله من أنوار و ضياء ، و كان من هول رؤيته في التصور الجاهلي دافعاً لحسبانه ساقطاً من بيوت و عرش الآلهة في السماء ، حاملاً معه

ضياء هذا المكان النوراني ، و من ثم كان من الطبيعي أن يحاط بالتكريم و التبجيل . (الإسلاميات . سيد القمني . ص ١٩ . قصة الحضارات عصر الإيمان ص ١٨) .

و مع كثرة الأحجار القادمة من عند الأسلاف ، أو الهابطة من السماء ، كثرت أيضاً الكعبات . و كانت الكعبة تسمى بيت الله كما يقول الإستاذ / سيد القمني لاعتقاد الناس أن تلك الأحجار تأتي من عند إله السماوات ، و لهذا فقد جعلوا لها بيوتاً و قدسوها و عظموها و حجوا إليها ، ظناً منهم بأنهم هكذا إنما يزورون الله في بيته ،المتمثل في هذه الأحجار فكانوا يعتقدون أنه مرسل من عند الآلهة ولهذا فهو يحاط بالتبجيل . وعلى الرغم من وجود إحدى و عشرون كعبة قبل الإسلام بالجزيرة إلا أن الجزيرة العربية أجمعت على تقديس كعبة مكة و حرصت على الحج إليها لمكانتها ووقوعها على طرق التجارة من الشام إلى اليمن (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية . خليل عبد الكريم .ص٦٥،٢٢،٢١) . و تؤكد الكاتبة كارين أرمسترونج ذلك الكلام و تكمل الحديث و بالأخص على كعبة مكة فتقول : [أن العرب قد أعتبرو تلك الحجارة التي كانت على شكل كعبة منطقة مقدسة و مكاناً للمزار . و كان لذلك المكان بعض الطقوس القديمة التي ترتكز على رب معين من الأرباب] (سيرة النبي محمد . كارين أرمسترونج . ص ٩٦) .

و من بين الكعبات التي كانت موجودة بالجزيرة كما ذكرالهمداني في كتابه الأكليل ج٨.ص٤٨) [بيت اللات ، كعبة نجران ، كعبة شداد الأيادي ، كعبة غطفان] . أما الزبيدي فيقول في تاج العروس .ج٢، ص٢٧١) [بيت ذي الخلصة

المعروف بالكعبة اليمانية] ـ أما أبن الكلبي (الأصنام.ص١٦) [بيت ثقيف] ـ إضافة إلى ما جاء به جواد علي في كتابه (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .ج٥ ، ص ١٨٠) [كعبة ذي الشرى ، و كعبة ذي غابة الملقب بالقدس] و محجات أخرى للآلهة مثل [اللات ، ديان ، صالح ، رضا ، رحيم ، كعبة مكة ، و بيت العزى قرب عرفات ، و بيت مناة] ـ أما ما جاء به العقاد (طوالع البعثة المحمدية . ص ١٣٠و١٣١) [بيت الأقيصر ، بيت ذي الخلصة ، بيت رضاء ، بيت نجران ، بيت مكة] و قد كان بيت الأقيصر في مشارف مقصد القبائل من قضاعة و لخم و جذام و عاملة و كانوا يحجون إليه و يحلقون رؤوسهم عنده . (الإسلاميات . سيد القمني . ص) .

يقول ياقوت "و كعبة نجران هذه يقال بيعة ، و بناها بنو عبد الديان الحارثي على بناء الكعبة ، و عظموها مضاهاة للكعبة و سموها كعبة نجران ، و كان فيها اساقفة معتمدون " و يستظهر بعض الباحثين أنها كانت كعبة للعرب تحج إليها قبل مجيء النصرانية ، ثم اتخذها النصارى بعد انتشار النصرانية فيها . (فجر الإسلام . أحمد أمين ص ٤٤)

و قد قال المسعودي : أن الناس قالوا أن البيت الحرام من البيوت السبعة المعظمة المتخذة على أسماء الكواكب النيرين [الشمس و القمر] و الخمسة [الزهرة و المشترى و زحل و المريخ و أورانيوس] و الباقي [المسعودي مروج الدهب ج٢ من ص ٢٤١إلى ٢٤٨] هي :

١. بيت المجوس بأصبهان : و يقال أنه مع بيت ثاني يقال له مارس أي المريخ موجود على رأس جبل بأصبهان . و كان بهذا البيت أصنام إلى أن أخرجها الملك (يستاسف) لما تمجس و جعله بيت النار،و هذا البيت معظم عند المجوس .

٢. بيت مندوسان بالهند : هذا البيت تعظمه الهند ، و عنده تقدم القرابين ، و فيه أحجار المغناطيس الجذابة و المنفرة .

٣. بيت البرامكة ببلخ : وهو النوباهار من خرسان و هو على أسم القمر . و كان من يتولى رعاية البيت يعظم عند الملوك في تلك المنطقة ، و تنقاد لأمره لأنه يشتهر بالحكمة .

٤. بيت غمدان بصنعاء : باليمن و هو على أسم الزهرة . و كان الضحاك قد بناه على أسم كوكب الزهرة ، و قد خربه عثمان بن عفان .

٥.بيت فرغانة [كاوسان] بخرسان : بناه الملك كاوس على أسم المدبر الأعظم و هو الشمس . و قد خربه المعتصم بالله .

٦.بيت الصين : و هو موجود بأعلى بلاد الصين بناه ولد عامور بن سوبل .... بن نوح و هو لتعظيم الكواكب السيارة .

٧.كعبة مكة : كان أهل مكة شديدي الزهو بكعبتهم ، و قد كانوا يعتبرونها بيت الله {الإله الأعظم عند العرب في ذلك الوقت} . و قد كانت الكعبة أهم مكان مقدس عند العرب فكانوا يكرمونها و يقدسونها ، حيث كان الحجاج يتوافدون

عليها من جميع بقاع البلاد لتأدية شعائر الحج . و كان ذلك وقت انعقاد سوق عكاظ ،و كان هذا أيام الأشهر الحرم . و كانت قريش هي المسؤلة عن حماية الكعبة و الإشراف على موسم الحج و التجارة . و العمل على التأكد من الحفاظ على قدسيتها . (محمد . كارين أرمسترونج ص ٧١. قصة الحضارات عصر الإيمان ص ١٨) . و كان أول من نصب صنماً فيها هو [عمرو بن لحي] ، و كان أول صنم نصب هو لهبل ، و قد أهداه له أهل الشام من العمالقة ، ثم أساف و نائلة . [تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٥٤] . و من المعتقدات الشائعة أن الكعبة بنيت ثم أعيد بناؤها عشر مرات ، و الكعبة كما بنيت في المرة العاشرة هي كعبة هذه الأيام في معظم أجزائها . و قد بناها في المرة التاسعة و العاشرة زعماء المسلمين عامي ٦٨١و٦٩٦ .

البيوت المعظمة عند اليونانيين

١.بيت أنطاكية : و هو موجود بأرض الشام . و كان الناس يعظمونه و يقدمون عنده القرابين ، و كان به الأصنام . إلى أن جاء المسلمون و تم خرابه .

٢.أهرامات الجيزة : و قدكان ببلاد مصر و هو يرى من الفسطاط على أميال منها .

٣.بيت المقدس : و هو لليهود و الذي بناه سليمان الملك ، و لكن اليونانيين تكن له الاحترام و التقديس

هياكل الصابئة

للصابئة من الحرانيين هياكل على أسماء الجواهر العقلية و الكواكب ، و من أكبر تلك الهياكل الشمس ثم القمر ثم الزهرة فزحل (الملل و النحل ج ١ ف أصحاب الهياكل) . فمن تلك الهياكل هيكل العلة الأولى ، و هيكل العقل ، و هيكل السلسلة و هيكل الصورة و هيكل النفس .

و قد وجد على باب مجمع الصابئة بمدينة حاران قول مكتوب بالسريانية لأفلاطون و قد فسره مالك بن عقبون وهو [من عرف ذاته تأله] .

فالأمر الذي لا يجوز الشك فيه أن البيوت الحرام وجدت في الجزيرة العربية ، لأنها كانت لازمة ، و هذه البيوت كانت محرمة و لها أيامها الحرام . و سميت هذه الكعبات ببيوت الله لأن كل بيت منها فيه حجر من بيت الإله الذي في السماء . لكن بيت مكة بالتحديد أخذ في التمايز ، و ذلك لعدة أسباب قد سبق شرحها .

الآلوهية و الربوبية عند الترب : و يمكننا هنا التميز بين المفهوم العربي الجاهلي لمعنى الآلوهية و الذي يعني إلهاً غير منظور يسكن السماء ، و من عنده تتساقط بركات بيته الإلهي من آن لآخر ، على هيئة أحجار سماوية . في حين أن الربوبية تشير إلى التقديس للأسلاف يتفق حجمه مع أهمية رابطة الدم عند العربي البدوي .

تشريعات و طقوس كعبة مكة :

كانت هناك تشريعات يصعب انتهاكها عند الكعبة ، مثل تحريم القتال و تقديم الأموال التي كانت بمثابة خراج يقدم من الموسرين لإضافة الحجاج ، كما كان أيضاً يستلزم إجارة المستعيذ بالبيت ، و تحريم إيذائه

أما عن الشعائر الخاصة بالحج : فكان يرمي الحاج بالجمرات و يقف بعرفة إلى بعض الطقوس الأخرى التي وافق الإسلام عليها.

كان كل حاج يبدأ من ركن معين من أركان الكعبة ، ويطوف مبتدأ بأساف و يقبله ثم يختم به . و كان العماليق يقولون عن تلك الأصنام أنهم يعبدونها لتقربهم لله ، و لهذا اتخذت كل قبيلة لها صنما يصلون له تقربا إلى الله . و كانت تلبيات بعض القبائل مثل كنانة : لبيك اللهم لبيك ، اليوم يوم التعريف ، يوم الوقوف و الدعاء . أما ثقيف فكانت تقول : لبيك اللهم . إن ثقيف قد أتوك و أخلفوا المال ، و قد رجوك [تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٥٤].

تسمية الشهور و الأيام عند العرب

رسمت العرب قبل الإسلام الشهور فبدأت (بمحرم) لأنه أول السنة ، و لتحريم الحرب و الغارات فيه . و(صفر) و ذلك لأن المدن كانت تخلى من الناس لخروجهم إلى القتال ، و هي مأخوذة من [صفرت الدار منهم] أي خلت منهم . و (ربيع . أول و ثان) لارتباع الناس و الدواب فيهما و هو شهر الربيع و الإخصاب . و (جمادى . الأول و ثاني) لجمود الماء فيهما . و (رجب) لخوفهم إياه فيقال :

رجبت الشيء إذا خفته . أو [فلا تهيبها و لا ترجبها] و قيل سمى رجب للترجيب أي التعظيم . و (شعبان) لتشعبهم و طلب الغارات . و (رمضان) لشدة حر الرمضاء . و (شوال) لأن الإبل كانت تشول بأذنابها من شهوة الضراب و تشاءمت العرب من الزواج في ذلك الشهر . و (ذي القعدة) لقعودهم عن الحرب و (ذي الحجة) لأن الحج يتم فيه . و قيل أن أول من سماها كذلك هو [كلاب بن مرة] [الألوسي . تاريخ الارب . ج ٣ ص ٢٨ـ المسعودي ج٢ ص٢٠٩] .

الأشهر الحرم و أشهر الحج :الأشهر الحرم هي المحرم و رجب و ذي القعدة و ذي الحجة . وأشهر الحج هي شوال و ذو القعدة و عشر من ذي الحجة . و نلاحظ أنها نفس الأشهر الإسلامية فيما بعد [المسعودي ج ٢ ص ٢٠٩] .

أسماء الأيام عند العرب قديما : أول أيام الأسبوع هو الأحد لأنه أول يوم خلقه الله . الاثنين لأنه ثان . و الثلاثاء لأنه ثالث . و أربعاء لأنه رابع . و خميس لأنه خامس . و الجمعة لأن الخلق اجتمعوا فيه . و السبت لأن الخلق انقطع فيه و خلق أدم .

الباب الثالث

الفصل الأول

الجذور التاريخية لبعض الشعائر الاسلامية

يا أبا العينين ... ما فتواك في هذا الغلام ؟
هل دعا ـ في قلبه ـ يوماً إلي قلب النظام ؟
احمد مطر (فتوي أبا العينين)

تمهيد :

كانت الجزيرة العربية تذخر بالكثير من الديانات و الدعوات التوحيدية قبل الإسلام ، و نخص بالذكر اليهودية و المسيحية أصحاب اليد العليا في الموروثات العقائدية للجزيرة العربية .

و بالتأكيد أنه كانت لهذه الديانات أكبر الأثر في تشكيل الموروثات التشريعية لعرب ما قبل الإسلام . أبتداءاً من شرائع العرب المتأثرة بالديانات الكتابية كالقصاص و رجم الزاني ،و انتهاءاً بما كان معمولاً به في ديانات غير كتابية كالصابئة ، و من صلب قاطع الطريق و قطع يد السارق لتحديد دية القتيل . و أن بعض الشرائع التي وافق عليها الإسلام ما تزال باقية حتى اليوم مثل : أقوال العرب في تحريم زواج المحارم ، و الطلاق ثلاث ، و تحريم الأشهر الحرم ، و رجم الزناة ، و حكمهم بأن الولد للفراش ، و قسمة الغنائم و قطع يد السارق اليمنى .

أولاً: الشعائر الدينية

الحج و العمرة

أشهر الحج : كانت أشهر الحج قبل الإسلام هي : شوال و ذو القعدة و عشر من ذي الحجة . [مروج الدهب و معادن الجوهر . المسعودي . ج٢ص ٢٠٨] . وكان الحجاج يحلقون رؤوسهم ، و كان الحج يبدأ بالطواف مع الهرولة (المشي السريع) فكانوا

يطوفون بالبيت سبعاً في إتجاه حركة الشمس ، ثم بعد ذلك يتوجهوا إلى المزارات المقدسة ، فيمسحون الحجر الأسود و يقبلونه .

ولنلاحظ قول عمر بن الخطاب الخليفة الثاني أمام الحجر الأسود[والله أني أعلم أنك حجر لا تضر ولاتنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك]. (دفاع عن محمد ضد منتقصيه ص ١٧٤) . و يسعون بين الصفا و المروة .وقد قام الرسول في العامالسابع الهجري بالذبح في المروة أثناء عمرة الأضحية (الدفاع عن محمد ضد منتقصيه . ص ١٧٥) ، ثم يذهبون إلى رجم الجمرات بمنى .

و كان العرب يعظمون البيت ، و يقفون بعرفة و هو المكان المقدس الآخر عندهم في سياق الحج ، و من الدعائم الأساسية في الحج تصديقاً لحديث نبوي يقول : الحج عرفة ، و كانوا يذبحون الهدي ، و يرفعون صوتهم بالتهليل . و كانوا يتطهرون من الجنابة . و كانوا لا يلبسون في حجهم ملابس بها وبر أو صوف . و كانت طائفة الثنوية يقولون في تلبيتهم [لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريك هو لك تملكه و ما ملك] ، و قد كانت هذه هي نفس تلبية قبيلة قريش . [اليعقوبي ج ١ ص ٢٥٤.٣٥٦ ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ ص١٩٦و٢٣٠ و ٢٨٨ ، سيرة أبن هشام ج ١ ص ٥٣ ، سيرة النبي محمد . كارين أرمسترونج ص ٩٦ . ١٠٠] .

و يؤكد د/ عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره . ص ١٧١) . عن حقيقة شعيرة الحج قبل الإسلام ، فيقول : أما قضية الذين وجدوا في شعائر

الحج الإسلامي إحياء لتقاليد وثنية من قبل الإسلام . فهي قضية مستساغة و كل المصادر الإسلامية تعترف بذلك . و لكن الإسلام أدخل عليها بعض التعديلات.

صوم رمضان

كان من تعاليم ديانة الصابئين أن يصومون شهر رمضان ، و إن نقص الشهر الهلالي صاموا تسعة و عشرون يوما ، و يستقبلون في صلواتهم الكعبة و يعظمون مكة ، و يحرمون الميتة و الدم .

(بلوغ الأرب في معرفة . العرب.ج ٢ . ٢٢٤) .

يقول (د / عبد الرحمن بدوي . دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره . ص ١٦٦، ١٦٩) : أنه في الواقع أن صيام رمضان كان موجوداً عند العرب قبل الإسلام ، و أن الرسول (ص) خلال إقامته في مكة كان يحافظ على هذه الشعيرة العربية قبل الإسلام . و بعد أن هاجر للمدينة و في شعبان من السنة الثانية للهجرة أمر بصيام شهر رمضان ، و هذه الآيات القرآنية المتعلقة بهذا الأمر . (البقرة ١٨٣ ، ١٨٥) . [يا أيها الذين أمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياماً معدودات ....] .

و يكمل الحديث بقوله أن طائفة المانويين قيل أنهم يصومون ثلاثين يوماً حين يبدأ القمر هلاله و حين تكون الشمس في برج الحمل . أما الحرانيين فيقال أنهم يصومون ثلاثين يوماً بدءاً من آزار تمجيداً للقمر .

الصلاة

كان المؤمنون بديانة الصابئة لهم صلوات بالليل و النهار و هي خمس صلوات . و أيضاً كانت العقيدة المانوية الموجودة بين النهرين تنادي بالصلوات الأربع في الليل والنهار . عندما جاء الإسلام كانت الصلوات المفروضة هي خمس صلوات توافق صلوات المسلمين . و كانوا يحرمون نكاح الأقارب و كثير مما جاء به الإسلام من شعائر و قوانين ، و كانوا يصلون على الميت صلاة بلا ركوع و بلا سجود . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ . ٢٢٤_ معتقدات أسيوية .موسوعة الأديان ص ١٤٠]

و يقول لنا د / عبد الرحمن بدوي (دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره . ص ١٥٩) أنه لا يوجد نص قرأني يذكر فيه فرض الصلوات الخمس .

و لكننا نرى القرآن يتحدث مرة عن صلاتين (هود ١١٤) [و أقم الصلاة طرفي النهار و زلفا من الليل] .

و مرة في موضع أخر عن ثلاث صلوات (الإسراء ٧٨) [أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا] .

و أكبر عدد أشار إليه هو أربع صلوات (البقرة ٢٣٨) [حافظوا على الصلوات و الصلاة الوسطى]

بينما وجد المفسرون المسلمون بقليل من التفسير العدد المراد خمسة من تلك الآيتين (الروم ١٦ ، ١٧) [فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون وله الحمد في السموات و الأرض و عشياً و حين تظهرون] .

أما في الآيات المدنية نجد الأمر بالصلاة حاسماً و قاطعاً و لكن بلا أي تحديد في العدد أو الكيفية ، و هناك مقطوعة كبيرة في النساء من ١٠٢ ، ١٠٣ و هي تتعلق بالحالة الخاصة من الصلاة في مواجهة العدو .

ثانياً: الحدود

حد القذف أو التشكيك

كان نسب الرجل العربي مهم جدا فكانت مكانة الشخص تحدد بنسبه ، و كان يتباهى بنسبه ، و كان أقصى ما يسب به العربي القديم القول عنه بأنه غير منسوب لأبيه ، و لا يعرف له نسب . و كان يرتكب جرم كل من شكك في نسب شخص . فكان يوقع عليه العقوبة بـ ٨٠ جلدة . و قد أقرها الإسلام فيما بعد { و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانون جلدة و لا تقبلوا منهم شهادة أبدا و أولئك هم الفاسقون } النور ٤ . [الإسلام بين الدولة الدينية و المدنية ص ١٥٣ خليل عبد الكريم دار سينا القاهرة] .

حد السرقة

كان العرب يقطعون يد السارق اليمنى إذا سرق . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ ص ٢٩٢] .

و يقال أن من سن تلك السنة هو [الوليد بن المغيرة] و كان جزار ، و كان ذلك خوفا على سرقة أمواله التي لا تعد في وقت كثرت فيه السرقات من العبيد و الموالي [الإسلام بين الدولة الدينية و الدولة المدنية . خليل عبد الكريم . ص١٥٢] .

و هناك حادثة شهيرة عندما كان محمد (ص)عمره خمسة و ثلاثون عام ، و اجتمعت قريش لبناء الكعبة ، و في ذلك الوقت قام شخص بسرقة كنزاً للكعبة ، و كان الذي وجد عنده الكنز هو [دويكا مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة] فقامت قريش بقطع يده . [سيرة أبن هشام ج ١ ص ١٢٢] .

حد قطع الطريق أو [الحرابة]

كانت ملوك اليمن و ملوك الحيرة يصلبون الرجل إذا قطع الطريق [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ ص ٢٩٢] . و يحكي لنا مسلم في صحيحه و النيسابوري [الواحدي النيسابوري (أسباب النزول) ص ١٣٠) تلك القصة التي تدل على أن الإسلام أقر ذلك الحد . أخبرنا أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي قال : حدثنا أبو عمر بن تجيد أخبرنا مسلم : حدثنا عبد الرحمن بن حماد حدثنا سعيد بن أبي

عروبة عن قتادة عن أنس : أن رهطا من عكل و عرينة أتوا رسول الله [ص] فقالوا : يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ، و لم نكن أهل ريف فاستوخمنا المدينة ، فأمر رسول الله بذود (مجموعة من إناث الإبل لا تقل عن ثلاث و لا تزيد عن ثلاثين) أن يخرجوا فيها فليشربوا من ألبانها و أبوالها ، فقتلوا راعي رسول الله الذود فبعث رسول الله فأتى بهم : فقطع أيديهم و أرجلهم و سمل أعينهم [في رواية أخرى : سمر أعينهم] فتركوا في الحرة حتى ماتوا على حالهم . و قال قتادة : ذكر لنا أن هذه الآية { إنما جزاء الذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فسادا ....إلى أخر الآية } نزلت فيهم . و قد رواه مسلم في صحيحه . كتاب : القسامة و المحاربين و الديات رقم ٣١٦٢ .

تعليق : هل تلك الحادثة ضد ما قاله في الحديثين حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميرا على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا فقال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وفي الحديث قصة قال وفي الباب عن عبد الله بن مسعود وشداد بن أوس وعمران بن حصين وأنس وسمرة والمغيرة ويعلى بن مرة وأبي أيوب قال أبو عيسى حديث بريدة حديث حسن صحيح وكره أهل العلم المثلة (سنن الترمذي الديات ١٣٢٨)

اخبرنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا هشام عن قتادة عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة (النسائي في تحريم الدم ٣٩٧٩)

ثالثاً: الشعائر الإجتماعية

دية القتيل

كانت العرب تأخذ دية القتيل مائة ناقة . و ذلك بعد أن فدا عبد المطلب إبنه عبد الله من الذبح بمائة ناقة . و الرواية تقول بأن العادة كان الرجل ينذر إذ بلغ بنوه عشرة نحر واحد منهم ، فجمع عبد المطلب أبنائه و أخبرهم عما في خاطره و كتب أسم كل واحد و ضربوا القداح ، فوقع الاختيار على عبد الله و فعل ذلك ثلاث . و عندما هم بذبحه و هو أحب ولد له . هب أسياد قريش و دلوه على كاهنة في الشام و ذهبوا لها . فقالت لهم كم دية الرجل عندكم ؟ قالوا عشرة من الإبل . فقالت عودوا و أضربوا القداح على الغلام و على الإبل ، و إن خرج القداح على الإبل فاذبحوا و إن خرجت على الغلام فزيدوها عشرة . عشرة . و ظلوا هكذا حتى وصل الإبل لمائة فوقع القداح على الإبل . فعادوا ثلاث فكبرت قريش . و أصبحت سنة إلى الآن . [بلوغ الأرب . ج ٣ ص ٤٨, ٤٩] .

و جاء الإسلام فوافق و أقر ذلك في (مالك في كتاب العقول ١٣٣٨) : [حدثني يحيى عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه أن

في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول أن في النفس مائة من الإبل وفي الأنف إذا أوعي جدعا مائة من الإبل وفي المأمومة ثلث الدية وفي الجائفة مثلها وفي العين خمسون وفي اليد خمسون وفي الرجل خمسون وفي كل أصبع مما هنالك عشر من الإبل وفي السن خمس وفي الموضحة خمس } .

وفي (سنن الدرامي و كتاب الديات قال ٢٢٥٩) [أخبرنا الحكم بن موسى حدثنا يحيى بن حمزة عن سليمان بن داود حدثني الزهري عن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين ومعافر وهمدان فكان في كتابه وإن في النفس الدية مائة من الإبل } .

الزواج و الطلاق و تحريم أشياء أقرها القرآن

كان للعرب عدة أنواع للزواج ، و قد أقرها محمد بعد البعث و أباح بعض من تلك الأنواع من الزيجات . و هذه الزيجات هي :

(١) زواج الصداق : و هو دفع صداق محدد مقداره ثم يعقد عليها . و هذا الزواج كان مفضل لدى القبائل .

(٢) زواج المتعة : و هو تزويج المرأة لأجل . يحكمون بالطلاق ثلاثة على التفرقة ، و جاء القرآن و أقر الطلاق على ثلاث . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ ص ٢٩٢] . كما كان العرب يحرمون نكاح الأمهات و البنات و الخالات و العمات و قد تنزهت قريش بذلك حفاظاً لحرمة الأرحام . و جاء القرآن و أقر الطلاق و تحريم نكاح المحرمون و كذلك أباح ذلك الزواج .[المرجع السابق ج٢ ص٥٢ . تاريخ العرب في عصر الجاهلية .ص٤٤٦و٤٤٧] .

و هنا نلاحظ تأثير اليهودية على عرب الجزيرة و ذلك لأنه كان معروف عنهم أنهم أهل كتاب و كانوا يحرمون بل و يلعنون من يصنع تلك الزيجات فنرى في (التثنية ٢٧ : ٢٠ ـ ٢٣) يقول { ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه ...ملعون من يضطجع مع أخته ...حماته ...} .

تحريم شرب الخمر و الزنى و لعب القمار و وأد البنات

كان اليهود في شريعتهم يحرمون شرب الخمر ، في (لاويين١٠: ٨ ـ ٩) { و قال الرب لهارون : خمراً و مسكراً لا تشرب أنت و بنوك معك عند دخولكم خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا } .

كما أيضاً كان العرب يحرمون شرب الخمر و من أشهرهم أبو القاسم عبد الرحمن السعدي الأندلسي كتب كتاب عام ٥٥٥ أسمه [مساوئ الخمر] و أيضاً عفيف ابن معد يكرب الكندي عم الأشعث بن قيس قال :

و قالت لي : هلم إلى التصابي فقلت : عففت عما تعلمنا

و ودعت القداح و قد أراني لها في الدهر مشغوفا رهينا

[حرقة يجدها الرجل مع لذة]

و حرمت الخمور علي حتى أكون بقعر ملحود دفينا

و تقول عائشة رضي الله عنها [ما شرب أبو بكر خمرا في الجاهلية و لاالإسلام] ، و قال عثمان [ما تغنيت و لا تفتيت و لا شربت خمرا في جاهلية و لا إسلام . ونرى زرادشت أيضاً نادى بتحريم شربها لأنها تدنس الجسد و الفكر كما حرم الزنى و الكذب و القتل . كانت طائفة الصابؤن يحرمون الميتة و الدم و لحم الخنزير و يحرمون من القرابات ما حرمه الإسلام [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ . ٢٢٤و ٢٩٤ و ٢٩٦ _ موسوعة الأديان القديمة . معتقدات أسيوية ص ١٠٤]

و قد حرم عبد المطلب دخول البيوت من ظهورها و قتل البنات كما حرم الزنا و إقامة الحد عليه[تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٠] . و لهذا فنستطيع القول بإن تحريم شرب الخمر لم يكن جديداً و لم يكن محمد فقط هو الذي لم يشرب خمر بمفرده و لكن كان كل الرجال العاقلون بالجزيرة العربية أمثال عثمان و أبي بكر و عبد المطلب و غيرهم لم يشربوا خمر و هذا بالتأكيد قبل الإسلام .

إعتبار الكلب نجس

إن الإسلام يعتبر أن الكلب نجس و ذلك ببعض الأحاديث و السنن و كان مرد ذلك لليهود الذين يعتبرونه نجس ففي (تثنية ٢٣ : ١٨) { لا تدخل أجرة زانية و لا ثمن كلب إلى بيت الرب إلهك عن نزر ما ، لأن كليهما رجس لدى الرب إلهك} .

و نرى في أحاديث (مسلم كتاب السقاة رقم ٢٩٣٢) يقول [حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير حدثني إبراهيم بن قارظ عن السائب بن يزيد حدثني رافع بن خديج عن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال ثمن الكلب خبيث ومهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن أبي كثير بهذا الإسناد مثله و حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا النضر بن شميل

حدثنا هشام عن يحيى بن أبي كثير حدثني إبراهيم بن عبد الله عن السائب بن يزيد حدثنا رافع بن خديج عن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم بمثله }

خلع النعال في الأماكن المقدسة

أعتبر الأسلام دخول مكان مقدس بالحذاء شيء مهين لله و لهذا فقد أمر الناس بخلع أحذيتهم عند الصلاة و عند دخول المساجد ، أسوة بالأنبياء السابقين أمثال موسى و إبراهيم . و كان ذلك المبدأ مقدس عند اليهود و خاصة في الأماكن التي ظهر بها ملاك الرب لأحد الأنبياء و رجال الله وقتئذ . و من أمثال ذلك ما حدث مع موسى في (خروج ٣ :٥)

[و ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط العليقة . فنظر و إذا العليقة لم تحترق فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم . لماذا لا تحترق العليقة . فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة و قال : موسى موسى . فقال : هانذا . فقال لا تقترب إلى ههنا . إخلع حذاءك من رجليك . لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة] .

و نرى مثال أخر مع يشوع في (يشوع ٥: ١٥) [فقال رئيس جند الرب ليشوع : أخلع نعليك من رجليك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مكان مقدس . ففعل يشوع] .

فهنا رأينا أن قدسية المكان و الأرض كانت تحتم على الواقف عليها بخلع حذائه ، و لما جاء الإسلام أكد على ذلك المبدأ و خاصة في الصلاة ، و بالتالي نعرف أن خلع الحذاء في المكان المقدس عرف و عقيدة كانتمعروفة.

تحريم الربا

أقرت الشريعة اليهودية بتحريم الربا ، و نتيجة إحترام تلك الشريعة بين العرب و خاصة الحنفاء فقد كان الإسلام يقر بذلك أيضاً ففي تثنية (٢٧ : ١٩) { لا تقرض أخاك بربا . بربا فضة أو ربا طعام ، أو ربا شيء مما يقرض } .

الحديث عن محمد في سنن الدرامي كتاب البيوع ٢٤٢٣ يقول [أخبرنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي قيس عن هزيل عن عبد الله قال لعن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم آكل الربا ومؤكله] . و في (سورة البقرة ٢٧٤) { و أحل الله البيع و حرم الربا ...}

الأشهر الحرم

كان العرب يعظمون الأشهر الحرم و هي أربعة : محرم و رجب و ذو القعدة و ذو الحجة . و كانوا يحرمون فيها القتال حتى إن الرجل منهم لو ألتقي قاتل أبيه أو قاتل أخيه لم يكلمه . و من سنتهم في تلك الأشهر أن يصالح بين من كان بينه و بين غيره شئ . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٣ ص٧٩] .

جاء الإسلام بالنص القرآني في (التوبة :٣٦) { إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات و الأرض منها أربعة حُرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم و قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة و أعلموا أن الله مع المتقين } قال أبن جرير حدثنا معمر حدثنا روح حدثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) [أن الزمان قد استدار كهيأته يوم خلق الله السموات و الأرض ، و إن عدة الشهور عند الله أثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ـ ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم ـ و رجب مضر الذي بين جمادي و شعبان] رواه البخاري و مسلم . (أبن كثير في التفسير الآية) .

صوم عاشوراء و تعظيم أول رجب

كانت قريش في الجاهلية تصوم عاشوراء (هو اليوم العاشر من محرم) و كانوا يعظمون هذا اليوم بكسوة الكعبة فيه . و غير ذلك يقال أن قريش أذنبت ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورها فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك عنكم . و في بعض الأخبار أنهم كانوا أصابهم قحط ثم رفع عنهم في اليوم العاشر من المحرم فصاموا ذلك اليوم شكراً فأصبحت عادة عندهم منذذلك اليوم . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج ٢ ص ٢٨٨] .

أما بالنسبة لتعظيم أول أيام شهر رجب فهذا أمر لاتوجد دلائل عنه لا من قريب ولا من بعيد ، ولا ندري لماذا يقدسون ذلك اليوم ، و من سنتهم أن تتم فيه المصالحة بين المتخاصمين. [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ٣ ص٧٩]

وجاء في صحيح مسلم كتاب الصيام رقم ١٨٩٧ [حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . و حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا ابن نمير عن هشام بهذا الإسناد ولم يذكر في أول الحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه وقال في آخر الحديث وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه ولم يجعله من قول النبي صلى الله عليه وسلم كرواية جرير } .

عادات المأكل و المشرب

كان من عادات العرب إذ أكلوا لم يثقلوا و لم يملؤا بطونهم . فمن أقوالهم [البطنة تذهب الفطنة] أي الطعام الكثير يذهب الفطنة ، و هم يعتقدون ان كثرة الطعام تفسد الذهن . فيقول لقمان :يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة و خرست الحكمة و قعدت الأعضاء عن العبادة .

أما عن الشرب فنجد أنهم فضلوا الشرب قاعدا ، و من آدابه الشرب عن ثلاث مرات ثم ينقطع . لأنهم يخافون الشرق إن شربوا مرة واحدة .[بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ١ ص٣٧٨ و ٣٨٨] .

و نحن نرى محمد و هو يعظ المسلمين إذا أكلوا فيكون ثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث للنفس . و نرى حديث أخر عن شرب الماء [إذا شرب أحدكم فليمص الماء مصا و لا يعب عبا فأنه من الكباد (أي وجع في الكبد)]

و ايضا يقول في الحديث [لا تشربوا نفسا واحدا كشرب البعير لكن اشربوا مثنى و ثلاث و سموا إذا أنتم شربتم ....] .

تفضيل و تقديم اليد اليمنى على اليسرى

إن العادة كانت جارية بين ملوك الجاهلية و رؤساءهم بتقديم اليد اليمنى في الشرب و في كل شئ . و كانت عادة العرب مجاراة ملوكهم بتقديم الأيمن فالأيمن في أي شرب كان ، و على ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا

و قد أقر الشرع هذه العادة و لم يغيرها لما لفضل اليمين على اليسار [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ج ١ ص ٣٩٤].

بل أعتبروا أن من يأخذ كتابه بيمينه يوم القيامة هو من أهل الجنة ومن يأخذ كتابه بشماله هو من أهل الجحيم .

الملائكة و الشياطين و دور الشياطين في الكهانة

كانت طائفة الثنوية تؤمن بأن صانع الخير هو النور ، و صانع الشر هو الظلمة . و النور يلد الملائكة و الظلمة تلد الشياطين ، و يؤمنون أن الملائكة تساعدهم على فعل الخير ، و الشياطين تحاول منعهم من فعله و فعل الشر . [بلوغ الأرب .ج ٢ ص ٢٣٠] .

و كان يعتقد كثير من الناس أن الكاهن لابد وأن يكون على علاقة مع الشيطان ليخبره بما غاب عنه . و الشيطان كان يسمع الأخبار و يعطيها للكاهن و هو بالتالي يلقيها على آذان المستمع . جاء القرآن و أيد تلك الفكرة ففي (الأنعام ١٢١) يقول : { و إن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم] [بلوغ الأرب ج٢ ص ١٧٧]

تقدس يوم الجمعة

كان العرب قبل الإسلام يحترمون يوم الجمعة و يقدسونه ، و كان يسمى يوم [العروبة] [أبن كثير في تفسير سورة الجمعة ٩] . و كان أول من أطلق عليه الجمعة هو كعب بن لؤي بن غالب لاجتماع الناس فيه معه ، فكان يجتمع بالعرب عند الكعبة و يخطب فيهم ، و قيل سبب تسميته هو أن العرب قالوا أن اليهود يجتمعون يوم السبت و النصارى يوم الأحد . فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله فيه و نصلي فاختاروا يوم العروبة . فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين فأنزل الله سورة الجمعة [بلوغ الإرب . ج١ ص ٢٧٣- ج ٢ ص ٢٨٢] .

جمعة الجاهلية :جاء في سورة الجمعة ٦٢: ٩-١١ (يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَا نْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ و اذْكُرُوا اللهَ كَثِيرا لعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) .

جاء في تفسير البيضاوي لهذه الآيات سُمِّي الجمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة . وكانت العرب تسمّيه يوم العروبة. وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه. وأول جمعة جمعها رسول الله (صلعم).أنه لما قدِم المدينة نزل قِباء فأقام بها إلى الجمعة . ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في وادٍ لبني سالم بن عوف .

وجاء في كتاب بلوغ الأرب في أحوال العرب :كان يوم الجمعة يُسمّى في الجاهلية عروبة. فسماه كعب بن لؤي بن غالب يوم الجمعة. وكان يخطب فيه على قريش . وكانت قريش تجتمع إليه في كل جمعة ليسمعوا خطبه (جزء ١ فصل مجتمعات العرب في جاهليتهم) ورد في كتاب السيرة النبوية الملكية : لما هاجر محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قال له المسلمون إن لليهود يوماً يجتمعون فيه للعبادة وسماع الوعظ هو يوم السبت وللنصارى يوماً يجتمعون فيه للعبادة وسماع الوعظ، ونحن المسلمين لا يوم لنا خصوصي نجتمع فيه لعبادة الله تعالى أُسوة بأهل الكتاب، فأشار عليهم بيوم الجمعة .

رمي الجمرات

هناك عدة قصص للرجم يخبرنا بها كل من د/ السيد عبد العزيز سالم في كتابه تاريخ العرب في العصر الجاهلي ص ١٦٦ ـو المسعودي في مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٢ ص ٨٦ فيقول :

١ . قبر أبي رغال : عندما سار أبرهة لهدم الكعبة ، مر على الطائف و هناك أرسلت معه قبيلة ثقيف رجل يدعى [أبي رغال] ليدله على الطريق ، و في الطريق و في موضع يقال له (المغمس) بين الطائف و مكة هلك أبي رغال ، فرجم قبره بعد ذلك ، و العرب تتمثل بذلك . فيقول جرير بن الخطفي في الفرزدق :

إ ذا مات الفرزدق فأرجموه كما ترمون قبر أبي رغال

و قال مسكين الدارمي

و أرجم قبره في كل عام كرجم الناس قبر أبي رغال

٢. قبر العابدي :وهو موضع في طريق العراق إلى مكة و ذلك بين الثعلبة و الهبير نحو البطان موضع

أما أبن هشام فيخبرنا في سيرته في [أبن هشام ج ١ ص ٧٨] : أن صوفة (هم الذين يدفعون الناس من عرفات ، و لا يستطيع الحاج أن يرجم قبلهم) . انه كما قال أبن إسحاق بأنه حدثه يحي بن عبادة بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت

صوفة تدفع بالناس من عرفة ، و تجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمرات ، و رجل من صوفة يرمي للناس . و لا يرمون حتى يرمي .

٣ـ و القرآن يرد الرجم إلى السيدة هاجر زوجة النبي إبراهيم عندما رجمت الشيطان إذ أراد أن يوسوس لها .

و المعروف أن رمي الجمرات هو شعيرة أساسية في الحج قبل الإسلام .

عندما جاء الإسلام أقر تلك الشعيرة سواء كان مردها رجم أبي رغال أو رجم قبر العابدي أو رجم الشيطان .

رجم الزاني

و قد كان عند اليهود شريعة الرجم للزاني و الزانية (لاويين ٢٤ : ٢٠) { إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل في المدينة ، و أضطجع معها ، فأخرجوهما إلى باب تلك المدينة و ارجموهما بالحجارة حتى يموتا } .و الإسلام أقر الرجم بالزاني و الزانية المحصنين .

تحريم أكل الخنزير

كان اليهود يحرمون أكل الخنزير . (تثنية ١٤ : ٨) { و الخنزير لأنه يشق الظلف لكنه لا يجتر فهو نجس لكم ، فمن لحمها لا تأكلوا جثثها لا تلمسوا } . و أيضاً جاء الحنفاء و حرموا لمس و أكل الخنزير كما ذكرنا سابقاً .

و جاء الإسلام و حرم أكل و لمس الخنزير {حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أهل لغير الله به } (المائدة ٣) .

شريعة القصاص

كانت شريعة اليهود القصاص (لاوين ٢٤ : ٢٠) { كسر بكسر ، و عين بعين ، و سن بسن . كما أحدث عيباً في الإنسان كذلك يحدث فيه } .

و جاء الإسلام و أقر نفس الشريعة ففي (المائدة ٤٥) { و كتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس و العين بالعين و الأنف بالأنف و الأذن بالأذن و السن بالسن و الجروح قصاص فمن تصدق به } .

تحريم التشبه النساء بالرجال و العكس

كان اليهود يحرمون ذلك (تثنية ٢٢ : ٥) { لا يكن متاع الرجل على متاع امرأة و لا يلبس رجل ثوب امرأة ، لأن كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب إلهك } .

و أقر الإسلام ذلك بالحديث : عن أبن عمر قال أن الرسول قال : لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء و المتشبهات من النساء بالرجال (صحيح البخاري) .

صلة الرحم و الوصايا بالفقير و إبن السبيل و اليتامى و الأرامل

كان العرب ينادون بصلة الرحم : كانت تعاليم الحنيفية و منهم عبد المطلب الذي أوصى ولده بصلة الأرحام و إطعام الطعام . و كان هذا نتيجة احتكاكه باليهودية و المسيحية و التي كانت توصي بذلك . [مروج الذهب ج ٢ ص ١٣٨] . و نرى

تأثر الإسلام بذلك . كما نرى التأثر واضح في الوصية بالإهتمام بالفقراء و اليتامى و الأرامل ففي (تثنية ٢٤ : ١٩ ، ٢٧ : ١٩) { إذا حصدت حصيدك في حقلك و نسيت حزمة في الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب و اليتيم و الأرملة تكون لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يديك . و إذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك للغريب و اليتيم و الأرملة يكون . إذا قطفت كرمك فلا تعلله ورائك للغريب و اليتيم و الأرملة } .

البعث و النشور

كان من العرب من يؤمن بالبعث و النشور و الثواب و العقاب و منهم عبد المطلب الذي أوصى أبنه بذلك (مروج الذهب ج ٢ ص ١٣٨) ، و أيضاً قس بن ساعدة الذي يعتبر أول من آمن بالبعث و بالحساب [بلوغ الإرب ج٢ ص٢٤٦] . و هذا نتيجة إحتكاك الحنفاء باليهودية و المسيحية. و هذا زارادشت نادى بالبعث و ثواب الخير و معاقبة الشرير و هذا في نهاية القرن الأول الميلادي . (موسوعة الأديان القديمة . معتقدات أسيوية . ص ١٠٦) .

نصرة المظلوم و الوفاء بالوعد و الوفاء بالنذر و الكرم و العفة

أمتاز العرب بالحلم فأقام العرب حلف سمي بحلف الفضول و الذي قال عنه الرسول [و لو دعيت له في الإسلام لأجبت] [أبن هشام ج ١ ص٨٧] . كانوا يحرمون الظلم و يتحالفون عن الكف عنه ، كانت عندهم كلمة [إذا ملكت فأسجح]

يقصد بها طلب العفو و الحلم . و يعاقبون على الجرائم . و كان العرب يوفون بالنذر و الدليل هو محاولة ذبح عبد المطلب لأبنه عبد الله إيفاءاً للنذر . [اليعقوبي ج١ ص٢٥٤ و٢٥٨ ج٢ ص ١٨] .

الكرم : كان العربي يمتاز بالكرم فهو يتباهى بكثرة الأضياف ، فيسعون لاجتذابهم في الليالي بإيقاد النار حتى يراها المسافر فيقصدها ، و عن طريق نباح الكلاب .

أما عن الوفاء بالعهود : فهم يمتازون بالوفاء بالعهود و بكراهية الغدر .

أما الوفاء بالنزور فنرى التأثير الواضح من الشريعة اليهودية و التي أقرت بذلك ففي (تثنية ٢٣ : ٢١) { إذا نزرت نزراً للرب إلهك فلا تؤخر وفائه لأن الرب إلهك يطلبه منك فتكون عليك خطية } .

أما عن العفة : فكان العرب يمتازون بالعفة و غض البصر عن نساء الغير و هذا كان من شروط السيادة ، و كانوا يفتخرون بالعفة و يمدحون بها . و هذا عنتر بن شداد يقول :

و أغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

الشجاعة :

و يتصف عرب البادية بأنهم أكثر شجاعة من أهل المدن . نتيجة كثرة المغيرون على زراعة و مواشي الأول فكان يهب للذود عنها . [بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . الألوسي ج١ ص ٩٩ إلى ١٠٣ . تاريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٤٤٢ إلى ٤٤٥] . جاء الإسلام وأقر كل تلك السنن .

و يحكي أبن هشام فيقول كانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما و لا بغياً ، و لا يبغي فيها أحد إلا أخرجته خارجاً . [أبن هشام ج ١ ص ٧٥] .

الشورى:

الشورى نظام بشرى اجتماعى كان مطبقاً قبل الإسلام بمعرفة القبائل فى شبه الجزيرة العربية منات الأعوام، ولما جاء الإسلام استعاره منها دون تعديل، ما عدا أنه فى عصر نشوء المذاهب تكرس اسم " مجلس أهل الحل والعقد" وتوارى اسم مجلس شورى القبيلة وهو تحرير شكلى محض لا يمس جوهر نظام الشورى قيد أنملة.

والذين يستشارون هم " الملأ" أى الأكابر والوجهاء وهم شيوخ القبيلة وأعيانها وأغنيائها وبعد الإسلام أصبح مجلس الشورى مكوناً من الشعرة المبشرين بالجنبة وإذ تتبعنا أنسابهم نجدهم يمثلون جميع البطون الموجودة فى قريش، وهم: تيم: أبو بكر وطلحة. عدى: عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد، أمية : عثمان، هاشم: على، أسد: الزبير، زهرة: عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص. فهر بن مالك: أبو عبيدة. وهم جميعاً يشبهون حكومة الملأ التى كان جميع أعضائها من قريش دون سواها، وهى الحكومة التى ثار عليها النبى الكريم ثم قضى عليها.

ورغم أن الشورى كانت تستخدم فى الجاهلية بطريقة فعالة إلا أنها لم تستخدم فى الإسلام وخاصة فى الإحداث المهمة مثل الخلافة فنجد خلافة أبو بكر لم تتم

بشورى حقيقة وكذلك خلافة عمر وخلافة عثمان حيث أوصى عمر بن الخطاب بستة من المبشرين بالجنة لاختيار واحد منهم وتحديد عدد معين ليس من الشورى فى شىء.

الألفاظ اللغوية و الشعرية

نرى تأثر القرآن بكثير من الألفاظ الشعرية التي كانت سائدة بشبه الجزيرة العربية ، فنرى اليهود و المسيحيين أكثر ما تأثر بهم الشعراء و الحنفاء فتداولوا ألفاظهم عن البعث و عن الإله الواحد و عن الثواب و عن العقاب . فقد كان العرب يدركون البعث و القيامة و الثواب والعقاب ، و للإله الواحد ، و الشيطان و الملاك ، و يدركون معنى الرؤى مثل التي رآها عبد المطلب في حفر زمزم [أبن هشام ج ١ص ٩٢] . و نرى أسماء الله و هي [القدوس و الصادق و المبارك و الحكيم و المعين و الحامي .. الخ] كانت معروفة و خاصة عند بلاد الرافدين كما ذكرنا سابقاً عن تأثير بلاد الرافدين [تاريخ العرب في العصر الجاهلي . ص ٤٦٢] .

فعلى سبيل المثال لشرح هذا التأثير . نرى رؤبة بن العجاج في قصيدة له لشرح قصة أصحاب الفيل يقول :

و مسهم ما مس أصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل

و لعبت بهم طير أبابيل فصيروا مثل عصف مأكول

و قال ذو الأصبع العدواني

و منهم من يجيز الناس بالسنة و الفرض و منهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي

و قال امرؤ القيس

دنت الساعة و أنشق القمر عن غزال صاد قلبي و نفر

[السيرة النبوية لأبن هشام ج ١ ص ٣٩و ٨٠] .

و هذا عدي بن زيد النصراني توفى ٥٩٠م و الذي قال في أشعاره ألفاظ لم يذكرها أحد غيره إلى أن أتى الإسلام و قالها مثل لفظ "أبليس" فهو يقول :

و أهبط الله أبليس و أوعده ناراً تلهب بالأسعار و الشرر

(المسيحية و الحضارة العربية ص ١٥٢) . لاحظ معي فكرة سقوط الشيطان و التوعد له بالنار .

و هذا الأعشى الأكبر (ميمون بن قيس بن جندل بن بكر) توفى عام ٦٢٩م قد نهى في شعره عن عبادة الأوثان و من التقرب منها . وعن أن الرب يرعاه و يكفيه و يساعده (المسيحية و الحضارة العربية ص ١٥٣) .

وذا النصب المنصوب لا تسكننه

و لا تعبد الأوثان ، و الله فاعبدا .

و يقول أيضاً

و لكن ربي كفى غربتي بحمد الإله فقد بلغن

و يقول عن عدم خلود أحد حتى سليمان

و لو كان شيء خالداً و معمراً لكان سليمان البريء من الدهر

رآه إلهي فاصطفاه عبادة و ملكه ما بين الثريا إلى مصر

و سخر من جن الملائكة تسعة قياماً لديه يعملون بلا أجر

رابعاً: الشعائر الحربية

الصفي

الصفي هو : ما كان يأخذه رئيس الجيش و يختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة ، و يقال : له الصفية . و الجمع صفايا .

كان شيخ القبيلة له الحق أن يصطفي أي شئ من الغنائم قبل القسمة . و جاء الإسلام و أعتبر ذلك الشيء عادي و لهذا فإن الرسول تزوج من صفية بعد أن اصطفاها لنفسه . [حدثنا هشيم بن بشير عن مطرف بن طريف الشعبي أنه قال : كان النبي (ص) صفى من كل مغنم عبد أو أمة أو فرس] ، و كما طلب النبي خمس المغنم و سهم النبي الصفي من صفي بن عامر من ثعلبة بن عامر و من عمرو بن زهير بن أقيش من بني عكل . كذلك في كتابه للحارث و النعمان اليمانيين .

(الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية . خليل عبد الكريم ص ٩٩ ، ١٠٠ . تاريخ العرب في العصر الجاهلي . ص ٤ ، ١٥) .

فيقص لنا ابو داوود في (سننه في كتاب الخراج و الإمارة رقم ٢٥٩٧) { حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن مطرف عن عامر الشعبي قال : كان للنبي صلى اللهم عليه وسلم سهم يدعى الصفي إن شاء عبدا وإن شاء أمة وإن شاء فرسا يختاره قبل الخمس }

ربع الغنيمة

[تاريخ العرب في العصر الجاهلي . ص ٤١٥] : كان لشيخ القبيلة الحق في ربع الغنيمة التي يغتنموها و النشيطة (أي ما أصيب من المال قبل اللقاء) . و جاء الإسلام و أبقى نصيب القائد و لكنه خفضه من الربع للخمس . ففي الأنفال ٤١ { و أعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه و للرسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين و أبن السبيل } ، و عن أبن عباس أن الخمس لله و للرسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين و أبن السبيل ثلاثة أسهم (القاضي أبو يوسف صاحب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في الخراج ج ١٧ ص ٢١) .

إذن العرف كان مستقراً في القبائل العربية قبل الإسلام هو أن الرئيس أو القائد يأخذ الربع . فأنتقل هذا العرف إلى الشريعة الإسلامية مع حدوث تعديلين عليه :

(أ) أنخفض من الربع إلى الخمس .

(ب) لم يعد من حق القائد وحده بل تحددت له مصارف : الخمس لله و للرسول و لذوي القربى الخمس و الثلاثة أخماس الباقية لليتامى و المساكين و أبناء السبيل . مع ملاحظة أن سهم ذوي القربى قد وزعه محمد (صلى الله عليه وسلم)

على بني هاشم و بني عبد المطلب و هم عشيرته . (الجذور التاريخية للشريعة . خليل عبد الكريم . ص ٩٦) .

السلب :

إن العرف قد أستقر في القبائل العربية التي سبقت الإسلام على أن من حق القاتل - في غارة أو غزوة أن يستولي دون غيره من المحاربين أو المقاتلين على سلب من قتله أو صرعه أي ما عليه من ثياب و سلاح و دابته . و هذا العرف القبلي انتقل بكل تفاصيله إلى الشريعة الإسلامية مثل الصفي و الربع في الغنيمة دون تحوير .

فلقد قضى رسول الله في السلب و لم يخمسه . رواه أبو داوود عن عوف بن مالك الأشجعي و خالد بن الوليد .

(و عن سلمة بن الأكوع قال : أتى النبي (ص) عين جاسوس من المشركين و هو في سفر ، فجلس مع أصحابه يتحدث ثم أنفتل أي العين أو الجاسوس ، فقال النبي اطلبوه فاقتلوه ، ثم قال : فقتله فنفلني سلبه) . (الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية. خليل عبد الكريم . ص ٩٧) .

في الترمذي (بكتاب السير رقم ٢٣٤٥) { حدثنا سعيد بن منصور حدثنا إسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن

عوف بن مالك الأشجعي وخالد بن الوليد أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قضى بالسلب للقاتل ولم يخمس السلب } و قد رواه أبن ماجه في كتاب الجهاد .

مشاركة النساء في المعارك

كانت النساء تشارك الرجال في الحرب ، إما لبعث الحمية و الحماسة في قلوب الرجال ، كما فعلت نساء شيبان و بكر بن وائل في يوم ذي قار ، نساء قريش في معركة أحد . فنرى في الإسلام تأييد لذلك و على رأس النساء فاطمة بنت الرسول يحملن الطعام و الشراب على ظهورهن ، و يسقين الجرحى ، فكانت أم سليم بنت ملحان و عائشة أم المؤمنين تحملان على ظهريهما القرب . [تاريخ العرب في عصر الجاهلية . ص ٤٢٠] .

البناء و المعمار

و قد أخذ المسلمون من بلاد الشام ما تمتاز به عمارة المساجد وهو المئذنة ، و الراجح أن المسلمين في بلاد الشام قد أخذوا فكرة المئذنة من الصرح البابلي و برج الجرس في الكنائس المسيحية ، و أخذ الهنود المسلمين الشكل الأسطواني من بلاد الهند ، و تأثر مسلمو أفريقيا في تخطيطها بمنارة الإسكندرية ذات الأركان الأربعة . و ليس ببعيد أن تكون الأبراج ذات الأركان الأربعة في المساحة التي تقيم عليها الهيكل القديم في دمشق ذات اثر في شكل المئذنة . (قصة الحضارة عصر الإيمان . ص ٢٤٢) .

السيف والرأى

دائماً ما كان يجتمع السيف والرأى عند العرب فى يد رجل واحد هو الحاكم أو الخليفة أو الوزير أو عامل الدولة وكان يقابله فى الجاهلية شيخ القبيلة ومن أس البلاء أن يجتمع السيف والرأى فى يد رجل واحد فلا مجال هنا للرأى الاخر ولا مجال لكلمة (لا) إذا كان الواجب أن تكون كلمة (نعم) هى المطلوبة، وهذه الصورة رسمها أبو العلاء المعرى بقوله.

جلوا صارماً، وتلوا باطلاً : وقالوا صدقنا فقلنا نعم فقد يكون للأبد أو الوزير رأى فيكون الويل حينئذ لمن يخالف.

فالوزير أو الأمير يجلس ورأيه ملكه يصدر عنه ويجلس بجواره السياف ثم يأتى بالخصم وغالباً ما يكون خصم الخليفة رجل من أصحاب الرأى، ويشبه هذا ما حدث من الخليفة المهدى مع الشاعر بشار عندما أمر الخليفة بقتله فقال له بشار علا ما تقتلنى ...

فأجاب المهدى على قولك.

ولو أنى أظهرت للناس دينى : لم يكن لى فى غير حبسى أكل

فقال بشار ولكننى تبت واستغفرت

فأجابه المهدى: كيف وأنت القائل

والشيخ لا يترك عاداته حتى يوارى في ثرى رمسه

و امر السياف فأطاح برأسه فلم ينفعه كتمان رأيه ولم تشفع له توبته.
ونفس الشيء قد حدث مع الحلاج بعد مناظرته مع الوزير على بن عيسى حول الحلول حيث أمر السلطان بضربه ألف سوط وبقطع يديه وإحراقه بالنار. ونفس الشيء حدث مع ابن المقفع الأديب الجليل صاحب التراث الرائع فى الأدب حيث تفوق فى مناظراته مع سفيان بن معاوية وكان بالبصرة نائبا عن الخليفة فدس عليه عند الخليفة فأعطاه الأذن بالقتل. فلم يقتله كما يقتل المجرمين ولكن لأنه صاحب فكر فنكل به أشد تنكيل لم نرى مثله فى التاريخ فقد أحمى له تنورا وجعل يقطع من جسم ابن المقفع شريحة بعد شريحة وهو حى ويلقى بالشريحة فى التنور ليرى المسكين أطرافه كيف تقطع ثم تحرق قبل أن تحرق بقيته دفعة واحدة آخر الأمر.
أما ما فعله الخليفة المأمون فى موضوع محنة القرآن أقديم هو أم حادث. كيف جمع المأمون عشرات من القضاه والمحدثين ليناقشهم فى هذه الفكرة السابقة وكان المأمون من أتباع الرأى الآخر، وكيف رأينا نزول الجميع على رأيه بعد ما أدركوا ما سينالونه من عقاب إذا هم خالفوه.
إن اجتماع الرأى والسيف فى يد الحاكم بعد الإسلام قد أدى إلى كبت حرية الفكر وحرية الإبداع عند العلماء والفلاسفة وحتى عند رجال الدين ثم أدى بعد ذلك فى المستقبل البعيد إلى انحطاط دولة الإسلام وتخلفها الحضارى.

وأننى أزعم أن هذا الأمر قد ابتدع بعد الإسلام ولم يكن فى الجاهلية بل زيد عليه يوم السعد ويوم النمس الذى رويت عنه مئات القصص التى تثبت طغيان الحكام وجبروتهم.

الباب الرابع

العلوم التي برع العرب بها

إن كان الغرب هو الحامي

فلماذا نبتاع سلاحه ؟

و إذا كان عدواً شرساً

فلماذا ندخله الساحة ؟

احمد مطر (ديوان المسائل)

إنتقلت من مصر القديمة ومن العلوم اليونانية التي كان مركزها الأساسي في الإسكندرية و أثينا إلى الشرق ، فكانت الأماكن التي إزدهرت فيها هذه العلوم في المنطقة بخلاف بلاد الحجاز و مكة هي تلك البلاد المحيطة بها من الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب مثل الرها و نصيبين و جنديسابور و المدائن . و كانت تلك المدارس تدرس علومها بمدارس بجوار الأديرة و كانت تسمى بالكلمة السريانية " اسكول " المأخوذة من اللفظ اليوناني SCHOLAE . و قد صنع العرب من هذا اللفظ كلمة "اسكول " و هي تدل على مدرسة مسيحية أو مدرسة ملحقة بالدير . و كانت تعلم بتلك المدارس العلوم المختلفة من اللاهوت والنحو و البيان و الفلسفة و الطب و الموسيقى و الرياضيات و الفلك .

و من بين رجال هذا العصر السابق للإسلام الذين كانوا من العلماء نجد على سبيل المثال و ليس الحصر : الراهب سفريس سبخت SEVERUS SOBOKHYT رئيس دير قنسيرن إحدى مدن أعالي الفرات و الذي كان يكتب باليونانية رسائل في الفلك ، و يذكر لأول مرة الأرقام الهندية في خارج بلاد الهند عام ٦٢٢. (قصة الحضارة عصر الإيمان . ص ١٨٠) .

هيبا : الملقب بالترجمان و كان في القرن الخامس ، و تلميذه بروبا (بروبوس) و كانا من أتباع المدرسة الفارسية في الرها . و من القرن السادس نجد أبو القشقري في عصر كسرى الثاني (٥٩٠ ـ ٦٢٨) ، وهذا يونان الأبامي و سيرجيوس الرأس

عيني و كانا تلميذين بالإسكندرية . و هذا المترجم السرياني لكتاب " أثولوجيا " و المنسوب خطأ لأرسطو و كان كل هؤلاء من المسيحيين النسطوريين و اليعقوبيين (المسيحية و الحضارة العربية . جورج شحاته ص ١٢١ ـ ١٢٢) . و إذا نزلنا للجنوب و ذهبنا لوسط الجزيرة العربية نجد بها من الأطباء أمثال الحرث بن كلدة الثقفي , و أبن حذيم و أخرون من برعوا في ذلك ، و أخرون برعوا في الشعر و أنت تعلم عزيزي القاريء براعة العرب في الشعر ، و أيضاً في الفلك مثل أبي قيدة الذي لا يوجد مثيل له في وقته . و تعالى لنرى عزيزي القاريء ما هي العلوم التي أتقنت و برعت في الجزيرة العربية و خاصة قبل الإسلام .

علم الشعر :

أشتهر العرب بعلمهم في الشعر و ذلك لأنه عن طريق الشعر عرفوا ماضيهم و نسبهم من خلال ما تركه الأجداد لهم . فالرسول نفسه قال : إن من الشعر لحكمة . و قال عمر بن الخطاب عن الشعر : نعم ما تعلمته العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستدل بها الكريم و يستعطف بها اللئيم . [بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب . الألوسي ج٣ ص ٨٢] .

و من مذاهب العرب : أن القبيلة كانت إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك ، و صنعت الأطعمة و اجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالأعراس .

لأنهم يعتبروه حامي للعرض ، و مادح لهم . و على سبيل المثال من الشعراء امرؤ القيس و زهير بن أبي سلمى و النابغة الذبياني و حاتم الطائي و عنتر بن شداد] .
و من بين النصارى الذين لمع أسمهم في الشعر الجاهلي هو عدي بن زيد وله شعر كثير في الأغاني و الشعر و الشعراء و الجمهور وله من الشعر ما يصف الخلق بالتوراة و ذلك كان قبل وفاته أي بين ٥٨٧و ٥٩٠

علم العرب بالفلك

أشتهر العرب ببحثهم عن الأجرام العلوية ، و الغلاف الجوي ، كما أنهم عملوا بالرصد ، و معرفة حركات الكواكب ، و خاصة التي تمس حاجاتهم .
و كان من أشهر من ألف كتب عن الفلك و عن علوم السماء : أبي قيد الذي ألف كتاب الأنواء ـ المؤرخ أبن عمر النحوي ـ أبي بكر محمد بن حسن المعروف بابن دريد اللغوي ـ أبي الحسن النضر بن شميل .
و من أشهر و أعظم تلك الكتب هو كتاب لأبي الحنيفة الدينوري الذي تضمن تفصيل الأزمنة و الفصول ومعرفة العرب بالرياح و الأنواء و السماء و وصف لما تحتويه من نجوم و أسباب سقوطها و بعض أسمائها و القمر و دورته ، و أيضا عن الأبراج الأثنى عشر . [الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج٣ ص ٢٢٣] .
و نرى تأثير بلاد الهند في هذا المجال واضح ، فنرى في عام ٧٧٣م الخليفة المنصور يأمر بترجمة السرهنتا و هي رسائل هندية في علم الفلك يرجع تاريخها

إلى عام ٤٢٥ق. م. و ربما كانت هذه الرسائل هي الوسيلة التي وصلت بها الأرقام العربية و الصفر من بلاد الهند إلى بلاد الإسلام . (قصة الحضارة عصر الإيمان . ص ١٨٠) .

علم العرافة

و هو علم باحث عن تتبع آثار الأقدام . و قد برع العرب في ذلك العلم حتى أنه يحكى أن هناك من كان يستطيع أن يفرق بين أثار قدم الرجل و المرأة ،و أثار قدم الشيخ من الشاب و الزوجة من الفتاة . و كان قيمة ذلك العلم في الاستدلال على الهاربين و التائهين بتتبع آثارهم . [الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج٣ ص ٢٦١] .

علم الطب

برع العرب في علاج و تربية الخيول و البغال و الحمير و الإبل و نحو ذلك . و هذا كان مسلم به و لا يبلغه أحد . و قد كان في الجاهلية من العرب أطباء موسومين بالحاقة . و هم لا يمكن حصرهم . و هؤلاء كانوا في مضر و حولها[بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب نفسه ج٣ من ص ٣٢٧ إلى ٣٣٩] .

و منهم على سبيل المثال: الحرث بن كلدة الثقفي [طبيب العرب]هو من الطائف . نسطوري ، تعلم الطب و عرف الداء و الدواء . كان يضرب العود ـ تعلم

بفارس و اليمن . كان في أيام الرسول و عاصر الخلفاء الراشدين و معاوية . و كان يطلق عليه [طبيب العرب] .

و يروى عن سعد بن أبي وقاص (ض) أنه مرض بمكة مرضاً فعاده رسول الله (ص) فقال : ادعوا له الحرث بن كلدة فإنه رجل يتطبب . فلما عاده الحرث نظر إليه و قال : ليس عليه بأس اتخذوا له ..... و عندها برئ . و كانت للحرث معالجات كثيرة و معروفة للعرب ، و كانت العرب تحتاج إليه للمداواة .

و للحارث من الكتب كتاب المحاورة في الطب بينه و بين كسرى أنوشروان . (المسيحية و الحضارة العربية ص ١٥٨) . و قد كان له كلمات مستحسنة في الطب و من أشهرها الذي قالها عنه محمد : البطن بيت الداء ..[الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج٣ ص من ٣٢٧ . ٣٣٩] .

أبن حذيم

له قدم راسخة في علم الطب . قال الزمخشري في المستقي : ابن حذيم رجل كان من أطباء العرب . و قال أبو الندى عنه : أنه كان أطب من الحرث . وقال عنه ابن الأثير : أنه كان شاعر و طبيب ماهر حاذق يضرب به المثل في الطب . و من أشهر الأمراض التي وصفها قدماء العرب ، و وضعوا لها الأسماء على سبيل المثال :

الحمى . اليرقان " داء يصفر الإنسان " . الصداع . الذكام . السعال . الأسر "احتباس البول" . الحصوة . الناسور " عرق يتفتق منه قرح دائم" . القوبا . الحكة .

الجرب ـ الجذام ـ البرص ـ داء الثعلب " نقص الشعر أو فساد منابته أو ذهابه" ـ داء الفيل ـ الاستسقاء " من أمراض الكبد

علم الريافة

هو معرفة استنباط الماء من الأرض ، بواسطة بعض الإمارات الدالة على وجوده فيعرف قرب المياه أو بعدها عن طريق شم التراب و منهم من برع فكان مجرد أن يضع أذنه على الأرض كان يعرف موقع المياه ، و منهم من كان يعرف عن طريق حركة الطيور . و كان هذا العلم منتشر في أعراب نجد . [الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج٣ ص ٣٤٣] .

علم الاهتداء في البراري

هو علم تتعرف به على الأمكنة من غير دلالة . فعن طريق الحواس و قوة التدريب على لمس التراب . فلكل كوكب تأثيره و لونه على التراب ، كما موقع القمر و منازله له التأثير . و كان ذلك مهم للقوافل و الجيوش و إلا هلكت . [المرجع السابق ص ٣٤٤] .

علم العرب بداء و دواء الخيول

قد برع العرب و لم يصل لهم غيرهم في كشف أمراض الخيول و معالجتها ، و كان من أشهر كتب الخيل إلى هذا الوقت كتاب وجدوه في مدرسة الأحمدية ببغداد

، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي و هو [كتاب الخيل] ، و الذي يشرح فيه كل ما يتعلق بالخيل من كبيرة و صغيرة . [المرجع السابق ص ٣٤٦] .

الكتابة في الجاهلية

كان أول من كتب بالخط العربي. هو مرامر بن مرة و أيضا أسلم بن سدرة و عامر بن جدرة . و هم من طيء تعلموه من كاتب الوحي لليهود ، ثم علموا أهل الأخبار . و منهم أنتشرت الكتابة في العراق و الحيرة . و كانت الكتابة قليلة بين أهل البدو ، و كان من يقرأ أو يكتب فقد كانت قراءته و كتابته غير نافذة و قاصرة . و يعتبر الخط العربي من الخطوط التي كانت مبالغة في الإتقان و الإحكام و الجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة و الترف ، و اشتهرت بالخط الحميري . الذي أنتقل من عندها للحيرة . و من الحيرة إلى أهل الطائف و قريش . [الألوسي . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . ج٣ ص ٣٦٨] .

و إذا كملنا دراسة ذلك الكتب سوف نكتشف أنهم برعوا في عدد من العلوم مثل علم نزول المطر . و الرياح و أوصافها و مواقيتها . السحب و أنواعها . في الرعد و البرق أنواعه . في علم الملاحة . و الحساب .

علم الأنساب

هو علم يتعرف به على أنساب الناس . و العرب في الجاهلية كان لهم مذيد اعتناء بضبطه و معرفته ، لأنه من أسباب الألفة و التناصر ، و هم كانوا في حاجة لذلك لأنهم كانوا قبائل متفرقة . و أحزاب مختلفة .

و هذا العلم من الأمور المطلوبة لما يترتب عليه من الأحكام ، و من أشهر من أشتهر بمعرفة الأنساب [دغفل بن حنظلة السروي . ورقاء الأشعر . زيد أبن الكيس النميري . النخار بن أوس] . [بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ج٣ ص ١٨٢ و ٢٠٢] . و كان العربي يتفاخر بنسبه ، و لذلك فالذي كان يشكك في نسب شخص لأبيه دون أن يثبت ذلك بفم أربعة شهود كان يجلد ثمانون جلدة . [الإسلام بين الدولة الدينية و المدنية ص ١٥٣] . فالنسب مهم و لذلك وجد أناس متخصصون لذلك العلم .

و قد عني المؤرخون بنسب القبائل و تفرعها ، و ألفوا فيها الكتب الكثيرة ، و لكن هذه الأنساب في مجموعها كانت و لا تزال مجالاً للشك الكبير .[فقد سئل مالك رحمة الله عن الرجل يرفع نسبه إلى أدم فكره ذلك و قال : من أين يعلم ذلك ؟ فقيل له : فإلى إسماعيل ، فأنكر و قال : و من يخبره به ؟] (فجر الإسلام . أحمد أمين . ص ١٢) .

و هناك رأي أخر للدكتور / السيد عبد العزيز [في كتاب تاريخ العرب في أيام الجاهلية يقول في ص ٤٩٧و ٤٩٩و ٥١٨]

و هو عدم الدقة في الأنساب و على سبيل المثال : يذكر الإخباريون أن إسماعيل بعد أن نزل بمكة مع أمه هاجر ، تزوج امرأة من جرهم اليمنية ، هي سلمة بنت مهلهيل أبن سعد بن عوف [المسعودي . مروج الذهب ج ٢ ص ٤٧] ، و في رواية أخرى قيل رعلة بنت مضاض أبن عمرو الجرهمي . [السيرة لابن هشام ج١ ص ٥] . و في رواية أخرى قيل الحنفاء بنت الحارث بن مضاض . [اليعقوبي ج ١ ص ١٨١] . و قيل هالة بنت الحارث بن مضاض في رواية رابعة . [النويري . نهاية الإرب في فنون الأدب ج ٢ ص ٣٢٤] . كما أن الإخباريين يختلفون في نسب عدنان ، أي في ذكر الأباء بينه و بين إسماعيل بن إبراهيم . فبعضهم يرفعه إلى قيدار ، [القلقشندي . بلوغ الأرب ص ٣٥٢] و بعضهم يرفعه إلى نابت [أبن قتيبة . كتاب المعارف ص ٢١] . كما أن في رواية لابن إسحاق تنسبه إلى نابت بن إسماعيل ، وفي أخرى يقولون بأن عدنان من ولد أدد بن نابت[البلاذري . أنساب الأشراف ص١٢] .

و لهذا فكان الرسول إذا بلغ في النسب إلى أدد قال : كذب النسابون ، كذب النسابون . قال الله عز و جل و قرون بيين ذلك كثيرا .

و يكمل الدكتور حديثه بالقول بأن دراسة الأنساب العدنانية و خاصة البعيدة يشكك في صحتها ، بدليل اختلاف الإخباريين في تتبعها و تقصيها . و اختلاف نسبة عدنان إلى إسماعيل في الروايات السابقة يثير عوامل الشك ، فيذكر أبن حزم [أن كل من تناسل من ولد إسماعيل عليه السلام قد غبروا و دثروا ، و لا يعرف أحد منهم على أديم الأرض أصلاً . و لهذا فيعتقد بأن الأنساب إلى حد ما

ملفقة ! لأنه لم يكن هناك علم خاص بالجاهلية للأنساب . مما أدى إلى ارتباك النسابون الإسلاميين الأوائل . لأنهم لم يجدوا المادة الكافية ليعملوا بها . كما أنهم كانوا متأثرين باعتبارات دينية و سياسية .

و سواء صحت أم لم تصح هذه الأنساب سواء كانت مجال للشك إلا أن العرب قد اعتنقوها و لا سيما متأخريهم ، و بنوا عليها عصبيتهم ، و انقسموا في كل مملكة حلوابها إلى فرق و طوائف حسب ما اعتقدوا في نسبهم ، و أصبحت هذه العصبية مفتاحاً نصل به إلى معرفة كثير من أسباب الحوادث التاريخية ، و فهم كثير من معرفة كثير من أسباب الحوادث التاريخية ، و فهم كثير من الشعر و الأدب و لا سيما الفخر و الهجاء . (فجر الإسلام . أحمد أمين ص ١٧) .

علم العرب بالأخبار

يقول الألوسي عن العرب في كتابه [بلوغ الإرب ج ٣ و ص ٢١٠ و ٢١٩و ٢٢٠] : نجد أن العرب عندهم من الشعر رصيد لتاريخ الأمم السابقة ، و لذلك نجد عندهم سيرتهم ، و أخلاقهم ، و دولهم ، و سياستهم ، و لهذا فهم مستودع و خزانة و حافظة معلومات . فمثلا كتاب الحيوان للجاحظ ، و كتاب الشعر و الشعراء لأبن قتيبة ، و كتاب المعمرين لسجستاني . و هناك العديد من الكتب التي تحفظ تاريخ و قصص عن ملوك الدول و عن شعراء الدول و عن أديان الدول .

حتى أنه وجد عند العرب بيان بالذي حدث في الزمن المجهول أو[زمن الفطحل] ، و أختلف أئمة اللغة في تفسيره . فمنهم من قال : هو الزمن الذي لم يخلق فيه الناس بعد ، و منهم من قال : هو زمن نوح ، و منهم من قال هو زمن الحجارة كانت فيه رطابة و خصبة .

الخاتمة

انتهي الكتاب الذي لم نؤلفه ..

ولكن

(في ذلك المساء كنت حزيناً .. مرهقاً

في ذلك المساء

لعلكم لا تعرفون الحزن يا سادتي الفرسان

و إن عرفتموه فهو ليس حزني

حزني لا تطفئه الخمر و لا المياه

حزني لا تطرده الصلاة

حزني لا يغنيني و لا يستحدث)

صلاح عبد الصبور

وهذا الحزن .. كم نحلم أن يكون حزن المخاض

الميلاد .. انفجار النهار

الذي طال انتظاره ..

و ها مصر مازالت تنتظر

المراجع و المصادر :

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الكتاب المقدس (العهد القديم ـ الجديد) .

٣ـ تفسير الجلالين .

٤ ـ تفسير القرآن لفخر الدين الرازي .

٥ ـ تفسير القرآن لأبن كثير . المكتبة التوفيقية .

٦ـ تفسير القرطبي .

٧ ـ قصص الأنبياء لأبن كثير . تحقيق عصام الدين الصبابطي . طبعة دار الفجر بالأزهر .

٨ ـ أسباب النزول للسيوطي .

٩ ـ موسوعة الحديث الشريف . الكتب التسعة .

١٠ ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . الألوسي . حققه محمد بهجة الأثري . دار الكتب العلمية ـ بيروت .

١١ ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية . د / سيد عبد العزيز سالم . دار النهضة العربية ـ بيروت .

١٢ ـ مروج الذهب و معادن الجوهر ـ المسعودي ـ تحقيق ـ سهام محمد اللحام ـ دار الفكر ـ طبعة أولى ـ

١٣ ـ السيرة النبوية ـ أبن هشام ـ تحقيق ـ الشيخ محمد بيومي ـ المكتب الثقافي ـ الأزهر ـ القاهرة ـ طبعة أولى

١٤ ـ البداية و النهاية ـ أبن كثير ، دار الكتب العلمية ، طبعة رابعة عام ١٩٨٨ بيروت ـ

١٥ ـ أسد الغابة في معرفة أحوال الصحابة ـ عز الدين بن الإثير ـ أبي الحسن علي بن محمد الجزري ـ الشعب ـ

١٦ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب ـ دار صادر ـ بيروت ـ

١٧ ـ طبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ، دار صادر ـ بيروت ـ

١٨ ـ قريش من القبلية إلى الدولة المركزية ـ خليل عبد الكريم ـ دار سينا ـ طبعة ثانية ـ

١٨ ـ الإسلام ما بين الدولة الدينية و الدولة المدنية ـ خليل عبد الكريم ـ دار سيناء طبعة أولى ـ

١٩ ـ الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية ـ خليل عبد الكريم ـ دار سينا ـ طبعة ثانية ـ

٢٠ ـ الحزب الهاشمي و تأسيس الدولة الإسلامية ـ سيد محمود القمني ـ مدبولي الصغير ـ طبعة رابعة ـ

٢١ ـ الأعمال الإسلاميات : قراءة اجتماعية سياسية للسيرة النبوية . سيد القمني طبعة أولي المركز المصري للبحوث و الحضارة .

٢٢ ـ أحكام الزواج و الطلاق في الإسلام . الشيخ بدران .

٢٣ ـ دائرة المعارف الكتابية للكتاب المقدس .

٢٤ ـ تاريخ الفكر المسيحي . القس حنا الخضري .

٢٥ ـ تاريخ الكنيسة القبطية . القس منسى يوحنا .

٢٦ ـ المسيحية و الحضارة العربية . الأب د/ جورج شحاته قنواتي . دار الثقافة . القاهرة الطبعة الثانية .

٢٧ ـ موسوعة الأديان القديمة . قسم المعتقدات أسيوية . د/ كامل سعفان . دار الندى .

٢٨ ـ حكايات الدخول . هوامش الفتح العربي الإسلامي لمصر . سناء المصري . دار سينا طبعة أولي ١٩٩٦.

٢٩ ـ سيرة النبي محمد . كارين أرمسترونج . الطبعة الثانية . القاهرة .

٣٠ ـ دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره . د/ عبد الرحمن بدوي . الدار العالمية للكتب و النشر .

٣١. قصة الحضارة . عصر الأيمان . ول ديورانت . ترجمة محمد بدران . مكتبة الأسرة .

٣٢. فجر الإسلام . أحمد أمين . الهيئة المصرية العامة للكتاب .

شبة الجزيرة العربية

بين

أسباب الصعود وأسباب النزول

إبراهيم الزينى - حسن إسماعيل